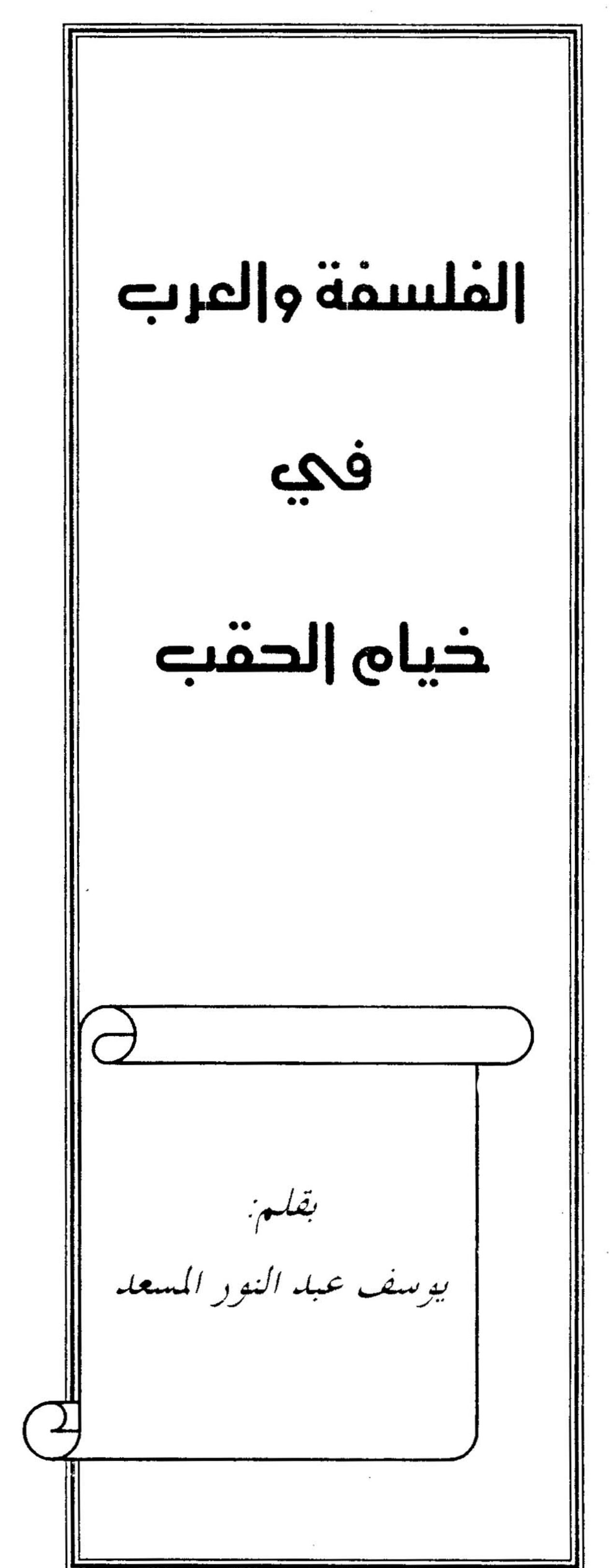

الفلسفة والعرب في خيام الحقب

بقلم:
يوسف عبد النور المسعد

من اتجاهات الثقافة في بلدنا الاتجاه الفلسفي الذي رأيته يغطّ في نوم عميق ومع أحلام الزمن الماضي، فلم يذكر في كل بلادنا العربية طيلة القرون الأربعة المنصرمة منذ بداية الاستعمار العثماني عام (١٥١٦م) لم يذكر إلاّ ما ندر عن وجود من يذكر العلم إلاّ وكان يخفي رأسه عن السلطة العثمانية كي لا يصل مصيره إلى الدهليز في قصر يلدز أو إلى إلصاق الجنسيّة العثمانية على تذكرة هويته وقلبه ولسانه وينسحب ذلك على مستقبله وسلالته البنويّة إذا كانت أبحاثه غير سياسيّة باسم وبحجّة الإسلام، وظلّ فكر الشعب مشغولاً بالاستعمار الفرنسي بعد ذلك.

وقد قرأت ما كتبه الفيلسوف (كنت) المولود في بروسيا (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) أن من واجب الفلسفة أن تزيح الخداع الذي نشأ من ترجمة خاطئة مزوّرة بالرغم من أن الكثير من الأحلام العزيزة على القلب يجب أن تختفي أيضاً في الوقت ذاته، هذا مما دفعني ففكرت أن أدخل بحثاً من هذه المجالات الثقافية الفلسفية وتطلّعت لأجد عنواناً يناسب هذه المادة فهل أدعوها أرض النخيل في تاريخ الفلسفة الطويل؟! أم منارة الفلسفة في القمم المشرفة؟! أم أسمّيها الفاتحة للرياح اللاّفحة؟! وأخيراً استقرّ الرأي على تسمية (الفلسفة والعرب في خيام الحقب)، وسأقدم لمحة صغيرة عن بعض الفلاسفة الذين منهم يونان قدماء وعرب ومن غير العرب الذين كتبوا بالعربيّة.

تعاريف الفلسفة:

وقد كثرت تعاريف الفلسفة، فقال أحدهم: إن الفلسفة هي أقصر الطرق للوصول للمعنى المقصود واختصاراً للشرح الطويل.

أما ابن رشد فقد عرّفها: إنها صيغة صلة المعرفة بين الموجود وموجده.

وأعتقد أن تعريف ابن رشد هذا كان يصحّ على الفلسفة في أوائل نشوئها في عالم الإغريق ولا يصحّ بعد أن صارت شاملة كل مناحي الوجود

والحياة. وبعضهم حسبها القمّة في كل اتجاه علمي أو أدبي وموسيقي ورياضيات، وأخيراً سمّوها فلسفة لكل علم على حدة فصارت فلسفات!! وهي أصلاً في التاريخ القديم كانت البحث في العلوم الطبيعية قبل أن يتوسّع مدلولها وتشمل جميع المعارف الإنسانية. وأخيراً استقرّ تعريف الفلسفة بعلم (مبادئ الوجود)

وإذا عدنا للفلسفة باللغة ومن أين أخذت اسمها؟! فهي كلمة يونانية ومعناها (إيثار الحكمة) وبالتفصيل الحرفي فهي: فيلو = إيثار أو تفضيل، وصوفيا = الحكمة. واجتمعت على أنها استقرّت على (الفلسفة)، والفيلسوف هو (مفضّل الحكمة).

واليونان هم الذين قسموها وأعطوها اسم المادة التي تبحثها مثل: فلسفة الدين أو فلسفة المنطق وغير ذلك.. وغاية الفلسفة البحث عن الحقيقة مجرّدة من الغايات الأخرى وعلى استقامة واحدة، والحقيقة ثابتة لا يغيّرها أحد حتى ولا واضعها الأول.

نشأة الفلسفة:

وقد أتت من مجريين مهمّين في الطبيعة البشرية، هما الفضول والخوف من الموت، والبحث عمّا بعده: فمن حبّ الفضول جاءت الفلسفة الطبيعية، أما الخوف من الموت فقد أعطانا فلسفة ما وراء الطبيعة، ومن خوف الموت جاءت العرافة (السحر) والكهانة، ونشأت عبادة ما يخافه الإنسان قديماً.

تكلم الأقدمون على تركيب المادّة من الذرّات والعناصر فكانوا يتفلسفون، ولما استطاع المعاصرون أن يستخدموا الطاقة الذرّيّة في أغراض السلم والحرب أصبحوا علماء.

ومن ماهيّة الفلسفة ومفاعيلها فهي فعلاً البحث بأقصر الطرق للوصول إلى المعنى المطلوب وهي تنزل بالمفاهيم قوالب نظرية لتصبح عمليّة، فإذا قلنا تاريخ الفكر العربي أو الهندي أو اليوناني فإننا لا نقصد النسبة إلى الجنس ولا إلى الدولة وإنما نقصد الإشارة إلى العوامل الاجتماعية التي ولدتها (هوية الفلسفة) لأن الفكر نفسه لا يكون شرقيّاً ولا غربيّاً ولا عربياً ولا إفرنجياً، ولكنه يصدر عن البيئة التي لا يستطيع المفكر نفسه أن يخرج عنها لأن البيئة قيود تعلمه كيف يفكر.

وأساس الفكر لدى الإنسان آت من بصره لما يرى ومن بصيرته لما تعلّم منذ أيام ولادته، فإذا سار في بيئة مظلمة لا يرى منها سوى ما حوله أو ما هو بارز بعلامة مضيئة ليراها، وكما يتعلّم الطفل من أصوات المحيطين لغتهم كذلك الفيلسوف في بيئته وما زاد من أفكاره فيما بعد يظل المصدر لذلك من نفس الوسط بلونه وأسلوبه وحدوده، كما يرتبط كل نبات بطبيعة تربته ويختلف قليلاً عنه لو زرع في تربة أخرى من نوع آخر.

وللإيضاح نقرأ ما كتب الفلاسفة الذين اختلفت جنسيّاتهم وتوحّدت بيئتهم وعصرهم إلاّ ما شذّ لعوامل فطريّة أو أسباب عارضة في تاريخ حياتهم، فهذا الفارابي تركي والغزالي فارسي والمعرّي عربي وابن باجه فرنجي والمهدي بن تومرت هرغي من البربر فقد كتبوا كلهم باللغة العربية واختلفوا في بعض الأفكار كما قلت لأسباب خاصّة وأمور تغيّر زمانها وسار كلّ واحد متأثّراً بدراسات غير الآخر، كما تأثر الفارابي بأفلاطون وابن سينا بأرسطو واختلف زمان وجودهم سبعمئة سنة، وكما تأثّر الفيلسوف عمّانوئيل كنط بسابقه العربي ابن حزم بثمانمئة سنة تقريباً في التقرّب بنظرية المعرفة. ويقال إن البراهين التي تبنّاها الغزالي المسلم الآسيوي للدفاع عن الإيمان قد تبنّاها القديس توما الأكويني المسيحي الأوروبي وكسب لقب قديس بينما كان سابقه الغزالي قد سمّي حجّة الإسلام.

ولا شكّ أن يظلّ كل مفكر عرضة لمؤثرات بيئته كما يحوطه مع معاصريه طقس البرد والحرّ فيتأثّر معهم وكما ترتبط الأجرام السماويّة بنظام الجاذبية المؤثّرة والرابطة لأنظمة سيرها وتحرّكات بعضها، وهناك دور بالترجمة لمن جاء

وبالتصرف. لكن النظرة المعروفة عن الفارق المنهجي للغرب والشرق، فالمغربيون من الفلاسفة هم علميون ومؤلفون، والمشرقيون فإن فلاسفتهم ميالون للأدبية والإنسانية وأغلبهم مترجمون.

يقول أحد المؤرخين إن العلم اليوناني من قبل والفلسفة اليونانية من بعد كانا عاملين هامين في تنظيم الفكر العربي وفي تطوّره،لقد أجال العرب عبقريتهم في تراث اليونان الفكري، كما كان اليونان قد أجالوا عبقريتهم في تراث الأمم القديمة. على أن هذا كله لا يدعونا إلى أن نغمض أعيننا عن الخطوات التي خطاها التفكير الشرقي قبل اليونان وبعدهم والتي كان لها أثر بارز جداً في عدد من جوانب الفكر العربي (هنا الشرقيون تعني الأسيويون من الشعوب الشرقية).

من هو الفيلسوف:

سمّي المفكر فيلسوفاً إذا امتاز بأربع خصائص هي:

١- أن يبحث عن الحقيقة بحثاً مجرداً.

٢- أن يكون بحثه هذا شاملاً لمظاهر الوجود كلها.

٣- أن يجري في بحثه على أسس من المنطق المؤيّد بالبراهين.

٤- أن يوجد نظاماً متماسكاً خاصّاً به، ثم يستطيع أن يفسّر لنا هذا النظام مظاهر الوجود.

أما إذا فقد المفكّر خاصّة من هذه الخصائص فهو (حكيم) ويقال إن فيثاغورس أول من حصر اسم الفلسفة.

لمحة قصيرة عن الفلسفة العمليّة عند الصينيين:

ازدهر التفكير في الصين أواخر حكم آل شو (١٢٢٥ - ٢٥٦ق.م) ولم يهتمّ بالبحث فيما وراء الطبيعة ولا بالمنطق بل كان الاهتمام بالسلوك والأخلاق عملياً والتصوّف. ففي اعتقاد الصينيين أن الإنسان كان متقدماً وأصبح ويسير إلى الوراء بل إلى الأسوأ. وفي الصّين فلسفتان رئيسيّتان الأولى لكونفوشيوس حيكم الصين الأكبر (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م) مفكراً عملياً اجتماعياً همه الأول، لأن فلسفة كونفوشيوس تؤكد جانب السياسة والسلوك في المجتمع دون أن يبحث بطبيعة الإنسان بين الخير والشر؛ ويتطرّق الفيلسوف الأكبر سناً من كونفوشيوس والمدعو (لي اره) يتطرق إلى الوجود الأول للحياة وما قبله وجود الله، وعندما بلغ معرفة كونفوشيوس كان على نقيض منه، ولما يئس من الإصلاح غادر الصين ليعتزل وقد خلف لنا آراءه كتاباً (نحو خمسة آلاف كلمة) شرح فيه معنى الكلمتين: تآو - و - ته، وكلمة (تأو) تعبّر عن مدارك وطريقة. ولما بلغ الفضيلة والطهارة قال: إن الإنسان بالفضيلة والطهارة يستطيع معرفة كل ما في العالم من غير أن يخرج من باب داره.

وبدخولنا عالم الفلسفة اليونانية أتذكّر ما قيل قديماً أن الحق والإيمان من اليهود والفلسفة والقانون من اليونان. رغم أن قول التاريخ إن من أقدم القوانين شريعة حمورابي الآموري الذي سُمّي ملكاً بابلياً لأنه باستيلائه على بابل وجعلها عاصمة لبلاده بعد انتصاره وحكمه كل بلاد الرافدين شاملة الهلال الخصيب بين (٢١٢٣ - ٢٠٨٢ق.م) وكان غيوراً على مصلحة بلاده، فقد جمع القوانين البابليّة وغيرها وعدّلها وزاد عليها وكتبها على عمود صخري وهي تتألف من /٢٨٢/ مادة عرفت فيما بعد بقانون حمورابي.

وكمعلومة وردت بوقت ذكر أمثالها أوردها وهي: إن أول كليّة أو مدرسة حقوق في العالم الروماني كانت في بيروت كولاية تابعة لروما ومن أساتذتها اثنان وضعا في القانون الروماني /٣٤٠/ مادة وهما بابنيان من حمص واولبيان من صور. وكانت بيروت من مطلع القرن الثالث قبل الميلاد محجة الثقافة لمنتصف القرن السادس الميلادي.

وباختصار شديد وأنتم تعرفون أن المذاهب الفلسفية اليونانية كثيرة وقد أخذت حقبة زمنية

طيلة /١٢٠٠/ سنة انتهت عام /٦٥٠م/ وقسمت لثلاثة أدوار، الأول دور التفكير الطبيعي ثم دور التفكير الإنساني وفلاسفة هذا الدور كانوا ضمن أثينا ويعد أهمّ أدوار الفلسفة على الإطلاق. أما الدّور الثالث الهلاّني الروماني فهو أطول الأدوار إذ استمرّ تسعة قرون (٣٠٠ق.م إلى ٦٥٠م) وبهذا الدور كان الإنتاج قليلاً وبه نشأت الفلسفة في الإسكندرية. وبما أن النصف الثاني من هذا الدور جاء بعد مجيء النصرانية غلب عليه البحث بين الدين والفلسفة الهلاّنية.

بعض المذاهب:

أولها المذهب الأيوني الفلسفي في اليونان وأبحاثه أقرب إلى الطبيعة والعلم منها إلى الفلسفة لمعرفة أحوال الطبيعة. ولو أخطأ الأيونيون في كثير من تفاصيل تفلسفهم فقد أصابوا في إيقاظ العقل البشري إلى التفكير والتفسير لمظاهر العالم، لكنهم أجمعوا على أنه لا ينشأ شيء من العدم ولا يعدم شيء موجود. أي أن كل ما نراه حولنا كان موجوداً منذ الأزل بمادته لا بصورته وسيظل موجوداً إلى الأبد.

الأيونيون في الأصل كانوا يردّون كل موجودات الحياة إلى عنصر واحد هو (الماء) كما زعم أولهم ثاليس (٦٢٤ – ٥٤٥ق.م).

ثاليس تعلّم الهندسة في مصر والفلك في بابل، وأهميّته أنه أول من فصل بين التفكير والخرافة وجعل الرياضيات وما وراء الطبيعة أسس البحث الفلسفي، وقيل إنه حسب الكسوف الواقع في ٢٨/ ٥/ ٥٨٥ق.م) وبعده قال آخر إن الوجود من العناصر كلها.

ثم جاء أناكسيمندوروس وانكسيماي وهيراكليطوس وقالوا بالعنصر الواحد، ولكن مرّةً عنصر النار أو غيره، قالوا بالعنصر الواحد لأنهم رأوا نظام الكون واحداً شاملاً حتى قال ابن رشد: لمّا تأمّل القدماء الموجودات ورأوا أنها تؤمّ غاية واحدة وهي النظام الموجود في العالم اعتقدوا أنه يجب أن يكون للعالم مبدأ واحد (تهافت التهافت ١٧٦ – ١٧٧).

أما تلميذ ثاليس اكسيمندروس (٦١٠ – ٥٤٦ق.م) فهو أول من رسم خارطة للقبة الزرقاء وقيل إنه مخترع المزولة (الساعة الشمسيّة) أو جلبها من بابل إلى اليونان واسم كتابه (في الطبيعة) أول كتاب نثر باللغة اليونانية.

ومن تلاميذ هذا (انكسيمانس الملطي) (٥٨٤ – ٥٢٥ق.م) ولهذا آراء في دوران النجوم وهو أول من قال إن القمر يستمدّ نوره من الشمس وعلّل ظهور قوس القزح. وينسب إلى المذهب الأبيوني (هيراكليطوس الأفسوسي ٥٣٥ – ٤٧٥ق.م) إلاّ أنه كان نقّادة عاطفياً أكثر منه عالماً طبيعياً. وقال إن العالم متبدل من الصّبا إلى الشيخوخة ومن الليل إلى النهار ولم يصدّق أن أحد الآلهة أوجد الكون. وقال بما معناه من أوصاف الناس أن الإنسان لا يدرك فوق ما لديه من استعداد للإدراك.

فيثاغورس: نشأ فيثاغورس (٥٨٨ – ٥٠٣ق.م) في جزيرة ساموس من جزر بحر إيجه. تعلّم الفلسفة في مصر من الكهّان، وتلقّى العلم والهندسة والفلك على يد (أنا كليمندروس) عام (٥٧٠ق.م) بعد أن زار مصر والشام وبابل، ومن الاستبداد في ميليطون من قبل نورالوس المستبد ذهب إلى إيطاليا (٥٣٢ق.م) وأسس ناد وعاش مع تلاميذه متقشّفاً خدمة للأصدقاء ورحمةً بالأرقّاء.

المذهب الفيثاغوري: معضلة الفلسفة الفيثاغورية أنها ليست نتاج عقل واحد بل نتاج عقول كثيرة نسبت كلها إلى فيثاغورس. واليونان هم من بذلوا المعرفة للناس جميعاً والنظم في أوربا ترجع بالتفكير لأفلاطون وبالمادة الأرسطا طاليس مثال: تكلّم أفلاطون عن وجود خزانة وكيف يجب أن تكون!! أما أرسطو طاليس قام بالنشاط لتحويل الخشب إلى خزانة. يعني يبحث الواقع وبالمادية يحصل التكثّر والتنوّع، وبعبارة أخرى إن كل خروج من القوة إلى الفعل يحتاج إلى

محرّك والمحرّك محتاج إلى مادة تحوّله من صورة إلى صورة – شجرة إلى صورة خزانة.

ومن ذروة الفلسفة اليونانيّة أذكر سقراط (٤٧٠ – ٣٩٩ق.م) وأفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ق.م) وأرسطو (٣٦٧ – ٣٢٢ق.م) هؤلاء الفلاسفة تركوا للعالم حقلاً كبيراً للتفكير البشري وسمّيت هذه الحقبة بالفلسفة المدنية (الإنسانية) واستقرّت صناعة المنطق. ثم ساد القول بالسببيّة الماديّة. ترك سقراط يمتاز بأنه يناقش بخاصّتين الأولى الرد على السؤال بسؤال من جنسه، والثانية أنه يخلط جدّه بالهزل وحرص على الاستنتاج من الملابسات وينتهي إلى تعريف واضح للعدل مثلاً أو للشجاعة والحرية ويعتمد البرهان من الآخرين. وهكذا فهو يثير التفكير في عقول الناس فيبلغ غايته. وقال الخطيب الروماني الشهير (شيشرون ٤٣ق.م):

إن سقراط استدعى الفلسفة من السماء فأسكنها الأرض ثم للمدن وبعدها للبيوت وجعلها بالضرورة باحثة عن الخير والشر. ومن يدرك المعرفة الواسعة يدرك أن معرفته قليلة جداً، ولهذا قال سقراط: علمت أنني لا أعلم شيئاً. وفعلاً المعرفة تنتج الفضيلة ومن عرف الحقّ لا يظلم ولا يقرب الشرّ. وهنا أقول بكل جرأة أن قمّة العقل العارف تلتقي مع وصايا الله وبالخير يسعد الإنسان وبالشرّ يشقى. ويرى سقراط أنه يمكن للعاطفة أن تخضع للمعرفة وتطبّقها. أما سبب إعدام سقراط أنه حضّ الشبّان على إنكار آلهة الأوثان وهذا مرتبط بالدولة فشرب السّم راضياً على عكس أفلاطون الذي عبد الآلهة ولم يصفها كالبشر.

أما أفلاطون فقد بدأ شاعراً واختصّ بالفلسفة وتنقّل مرّات كثيرة إلى مصر وإيطاليا وصقلية وأخيراً استقرّ في أثينا ومات فيها، لا شك أنه عبقري وله فهم واستيعاب لمبادئ الوجود، وينسب بعض آرائه لأستاذه سقراط ويسير بطريق التطوّر المستمر، فكان مثاليا وحاول بكتابه (كتاب السياسة) أن يضع أسمى النظم الاجتماعية بمقاييس الخير والجمال، وقد عُرف كتابه هذا خطأ باسم (جمهورية أفلاطون) ويريد أن يرى العالم غير ما كان العالم فعلاً وله كتب أولها كتاب السياسة الذي يجمع فيه فلسفته وكتاب (الدفاع) و(بروتاغوراس) ويقرّر أن الإنسان يقبل الظلم خير من الانتقام وكان هذا مشابها لتعليم السيد المسيح القائل: ﴿لا تجازوا أحداً عن شرّ بشرّ بل اغلبوا الشرّ بالخير﴾ وكتاب (المائدة) الذي يبحث فيه عن الحب ويقول: الحب غايته في نفسه أي ليس للحب غاية أخرى. وهذا يذكرنا بأن قبيلة بني عذره من نصارى العرب الذين كان بينهم ستون عاشقا بلا غاية كحبّ عفيف حتى نسب لهم (الهوى العذري) ونتابع الحديث عن أفلاطون ومن آرائه أن الحياة استعداد للموت وأن الوصول للمثالية في الدولة لا يتحقق إلاّ بالسّلم، وأن العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير. أما الفضائل الأساسيّة في نظر أفلاطون فهي أربع وهي: الحكمة والشجاعة والحلم والعدل هو (ضبط النفس).

أرسطا طاليس: أو حكيم اليونان، تلقى العلم على أفلاطون عشرين عاماً بعد بلوغه الرّشد وانتقل إلى البلاط المكدوني عام (٣٤٢ق.م) وصار مؤدب الإسكندر الكبير. اتهم أرسطو بالإلحاد وعاد إلى قريته (اسطاغيرا) ومات فيها بعد قليل. وله تنسب المدرسة المشائية التي أنشأها أرسطو ولحقته تهمة الإلحاد بعد أن صار الإسكندر ملكاً عام (٣٣٦ق.م) وبعد موته. لقد سمّاه ابن رشد الحكيم الأول وموجز فلسفته أنها تناولت جميع المعارف الإنسانية السائدة في زمانه. وكان عبقريا في الذروة وقد وسعت آراؤه مظاهر الوجود الطبيعي. وله تصريح بقوله: إنه يوجد في الحياة عالم واحد هو عالمنا الذي نعيش فيه وهو الحقيقي، وكان يعتمد على المنطق، والمنطق علم يضبط صحّة الحديث ويكشف الخطأ عندما لا يتناسب مع الصواب، ويفيد المنطق تعليم التفكير

الصحيح في قواعد الأصول للتفكير السليم العام لكل البشرية. أما اللغة فهي خاصّة تضبطها قواعد لغويّة ومكانيّة وبيئيّة بعاداتها واصطلاحاتها.

أرسطو منظّم علم المنطق بعد أن دوّنه ووضع قواعده. أرسطو طاليس مبتدع علم المنطق ولكنه نظّمه وسمّاه (أورقانون) أي الآلة أو الأداة وجعل للأورقانون ثمانية أبواب هي: المقولات – العبارات – القياس – البرهان – المواضع – الحكمة – الخطابة – الشعر.

ولكن أرسطو أبقى العقل جديراً بالاتّباع أكثر من المنطق، وللمنطق عشر مقولات تحدّد المعاني من وجهة التحقيق الفلسفي.أما ثمانية الأبواب فهي لسلامة المنطق لغويّاً. والعشرة هي: الوجود – الكمية – النوع – النسبة – المكان – الزمان – الفعل – البناء – الوضع – الحالة.

ويتصل المنطق بنظرية المعرفة وهذا ما يختلف بين شخص وآخر باختلاف عقول البشر التي قيل إنها /٧٢/ نوعاً، ويعتقد أرسطو أن المعرفة تأتي من الحواس إلى الفكر الذي يعطيها قالب حقيقتها بالاسم، وأن الوجود مؤلف من خمسة عناصر هي الأثير وتتألف منه النجوم وما في السماء ثم العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب) التي تتشكل منها الأجسام على الأرض. أما حركة العالم كلّه فهي الدّوران لأن الدّوران أتمّ أنواع الحركة. والألوهيّة تحرك العالم من غير أن تتحرك هي.

يقول أرسطو أن الجماد يتحرّك نحو الأعلى. والنفس تتحرّك وتنمو (كالحيوان) وفيه الحركة الإرادية والانفعال كالتأثر والهياج والغضب والجوع والعطش وغيرها، أما الإنسان ففيه بالإضافة إلى ما في الحيوان والنبات معاً (التفكير) الذي هو مظهر النفس العاقلة أو العقل. ولأرسطو آراء في الفلسفة (ما وراء الطبيعة) وهي الشاملة لمبادئ الوجود المطلقة كالصورة والمادّة والعلل والزمان والمكان. ممّا لا يقع تحت الحواس مباشرة.

المذاهب المغلّبة: هناك في التاريخ مذاهب سمّاها المؤرخون (المذاهب المغلّبة):

مرّت فترة تسعة قرون بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد ظهرت فيها مذاهب ضعيفة وسخيفة غلبت على أمرها ولم تشتهر إما لضعفها أو لأنها لم تصل إلى ظروف توصلها إلينا وبادت. ويرجع المؤرخون السبب لضعف رجالها وعدم ابتكارهم أو لانشغالهم بتفسير مبادئ الفلاسفة السابقين أو لعدم وصول ما كتبوا إلينا، ولكن الحقيقة أنه يوجد سبب أو أكثر والأهم هو روح التطوّر الزمني السائر دوماً نحو التقدّم وازدياد الوعي.

وإليكم بعض الأمثلة مما مر خلال فترة تسعة القرون من ضعف المبادئ الآتية رغم أن الميزة الجيدة أن هذه الفترة كانت تهتم بالإنسان وأخلاقه وسعادته واللذّة والألم، فمن أبرز أتباع سقراط (الأتباع يخلفون قدوتهم) اقليدس الماغاري (٤٥٠ – ٣٨٠ق.م) وهو غير اقليدس الإسكندري صاحب كتاب الهندسة المشهور – ورأي اقليدس هذا بعد أن درس سقراط وزينون وغيرهم كان أن الله هو الخير، ومنهم انطستانس الآثيني (٣٦٥ – ٣٤٤ق.م) مؤسس المذهب الكلبي والقاعدة لديه: إن ما جاز فعله في موضع يجوز في جميع المواضع كالكلاب ولذلك سمّي المذهب الكلبي. ثم جاء ذيوجانس (٤١٣ – ٣٢٣ق.م) الذي قال بشيوع النساء والأولاد وبإبطال الزواج وجعل التمتّع مبنياً على الاتفاق بين المرأة والرجل.

ومن الفلاسفة أيضاً أرسطبوس (٤٣٠ – ٣٥٠ق.م) القائل إنه لا ثقة لنا إلاّ من حسّنا الشّخصي والسعادة في اللذّة الحاضرة وسمّي مذهبه (القورينائي).

ومن المذاهب المغلّبة مذهب قدماء المشّائين (أتباع أفلاطون) أي يتّبعون رياضة النفس برياضة الجسد وهم مشاؤو أقاذميا مدرسة أفلاطون التي أقامها شمالي مدينة أثينا في بستان أقاذيموس. ثم

هناك مشاؤون من أتباع أرسطو اهتموا بما وراء الطبيعة والتاريخ وآداب السلوك. وأشهر المشائين عند العرب ثاوفرسطس الحكيم اليوناني وقد خلف أرسطو على دار التعليم منذ وفاة أرسطو (٣٢٢ق.م) وتوفي هو بعد /٣٥/ عاماً.

العصر الهلاني: وجاء من بعدهم ما يسمّى بالعصر الهلاني. أتى بعد حملة الإسكندر على الشرق (٣٣٤ - ٣٢٣ق.م) واستمرّ ثلاثمئة سنة حتى مجيء النصرانية تقريباً، وكان عصر انحطاط للفكر اليوناني وخلاله عمّ الشقاء الناس ونشأت مذاهب متناقضة ومنها المذهب الرواقي الذي أسّسه زينون القبرسي (توفي ٢٦٣ق.م) الذي اتخذ اسمه من رواق هيكل أثينا حيث كان زينون يعلّم الفلسفة ومن مبادئه أن جميع الناس سواسيّة لا عبد ولا حرّ. وهناك مذهب أصحاب اللذة الذي أسسه (أفيغورس) (٣٤١ - ٢٧٠ق.م) ويقصد لذّة المعرفة الآتية من الفلسفة ويرى أفيغورس أن صدى عمل الخير فرح، وصدى عمل الشرّ حزن وترح.

ومن هذه المذاهب مذهب الشك وهم شيعة (نورون) (٣٦٠ - ٢٧٠ق.م) وقالوا: إن من دواعي الاطمئنان أن لا يصدر الإنسان حكماً على شيء ولا يبدي رأياً وإن السعادة بالاطمئنان. أما الخطيب الروماني المشهور فقد أخذ من كل مذهب أحسنه، وتاريخ حياته (شيشرون) (١٠٦ - ٤٣ق.م) وبمجيء النصرانية زاد ابتعاد الفكر اليوناني عن الفلسفة الخالصة.

والآن هذه أسباب انتقال الفلسفة من الغرب إلى الشرق بفعل عاملين أساسيين وحادثة طريفة أذكرها لكم لاحقاً.

أما السبب الأول الأساسي هو: إن مدينة الإسكندرية بنيت مدينة ترف وثقافة فازدهرت وانتقل إليها الناس. والثاني لما اتخذ قسطنطين الأول (٣٠٦ - ٣٣٧م) النصرانية ديناً رسمياً لليونان بدأ اضطهاد المفكرين وجاء يوستنيانوس واضع الشرائع والقوانين، مدارس الفلسفة في أثينا (٥٢٩م) مرّة واحدة فانتقلت هذه المدارس إلى الشرق جملة. وبعدها في الإسكندرية نشأت فلسفات وعلماء فلك ورصد نجوم منهم بطليموس واقليدس صاحب كتاب الهندسة المشهور وآخرون.

الحكاية الطريفة: (تصرّف بها ناقلها لغاية في نفسه فغيّر فيها وأصبحت مضطربة السّرد رغم أنني حاولت الترتيب) يشير القفطي إلى كيفيّة نقل كتب أرسطو إلى اللغة العربية فيروي القصّة الطريفة التالية:

حكى محمد بن إسحاق القديم في كتابه، أن المأمون رأى في منامه، كأن رجلاً أبيض مشرَباً حمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين أجلح الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالساً على سريره.

قال المأمون: فكأني بين يديه وقد مُلئت له هيبة، فقلت له: من أنت؟؟ فقال:أنا أرسطو طاليس!! فسررتُ به وقلت: أيها الحكيم أسألك؟! قال: سل. قلت ما الحسن؟ قال: ما حسن في العقل!! قلت: ثم ماذا؟! قال: ما حَسُنَ في الشرع. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم! قلت: زدني. فقال: من يصحبك في الذهاب فليكن عندك كالذهب، وعليك بالتوحيد!

فلما استيقظ المأمون من منامه حدثته نفسه، وحثّته همّته على تطلب كتب أرسطو طاليس فلم يجد منها شيئاً في بلاد الإسلام. قال غير أن ابن اسحق: .. فراسل المأمون ملك الروم وكان قد استطال عليه (أي أنه حاربه وانتصر عليه عام ٢١٥هـ وفرض عليه جزية) وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطو طاليس، فطلبها ملك الروم فلم يجد لها في بلاده أثراً، فاغتمّ لذلك وقال: يطلب مني ملك المسلمين علم سلفي من يونان فلا أجده، أيّ عذر يكون لي؟ أيّ قيمة تبقى لهذه الفرقة الروحيّة عند المسلمين؟!

وأخذ في السؤال والبحث فحضر إليه أحد الرهبان المنقطعين في بعض الأديرة النازحة عن القسطنطينيّة، وقال له: عندي علم ما تريد! فقال له: أدركني! فقال: إن البيت الفلاني في موضع كذا الذي يُقفل كلّ ملك عليه قفلاً إذا ملك ما فيه، قال فيه على ما يقال مال الملوك المتقدمين، وكل ملك يجيء يقفل عليه حتى لا يقال قد احتاج إلى ما فيه لسوء تدبيره. ففتحه، فقال له الراهب: ليس الأمر كذلك، وإنما في ذلك الموضع هيكل كانت يونان تتعبّد فيه قبل استقرار ملّة المسيح، فلما تقررت ملّته بهذه الجهات في أيام قسطنطين بن الانة جُمعت كتب الحكمة من أيدي الناس وجُعلت في ذلك البيت وأغلق بابه. وقفل الملوك عليه أقفالاً كما سمعت، فجمع الملك مقدّمي دولته وعرّفهم الأمر واستشارهم في فتح البيت. فأشاروا بذلك، فاستشار الراهب في تسييرها إذ أوجدت في بلاد الإسلام، وهل عليه في ذلك خطر في الدنيا أم إثم في الآخرة؟! فقال له الراهب: سيّرها فإنك تثاب عليه، فإنها ما دخلت في ملّة إلاّ وزلزلت قواعدها. فسار إلى البيت وفتحه ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب، ووجدوا فيه كتباً كثيرة، فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال وسُيِّرت إلى المأمون، فأحضر لها المأمون المترجمين فاستخرجوها من الروميّة إلى العربيّة، ثم تنبّه الناس بعد ذلك على تطلّبها بعد المأمون، وتحيّلوا إلى أن حصّلوا منها الجمعة الكثيرة، ولما سيرت الكتب إلى المأمون جاء بعضها تامّاً وبعضها ناقصاً، فالناقص منها ناقص إلى اليوم، لم يجد أحد تمامه.

ويتابع القفطي فيتحدّث عن ترجمة مؤلفات أرسطو إلى اللغة العربيّة فيذكر المبالغ التي كان يتقاضاها المترجمون. وقال أبو سليمان المنطقي الجستاني نزيل بغداد، وكان نبيهاً في هذه الفرقة: إن بني المنجم كانوا يُرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنَقل والترجمة والملازمة. وممَن عُني بإخراج الكتب بعد ذلك من بلاد الروم محمد وأحمد الحسن بنو موسى بن شاكر المنجم..

سأدرج لكم بعض النتائج من هذه الكتب اليونانيّة وأعود للحديث عن قيمة الفلسفة اليونانيّة.

العرفانيون هم بالأصل نفر استحوذ عليهم القلق في البيئات التي عاشوا فيها وساورهم الشك في حياتهم الفكريّة والنظم العقليّة فغلب عليهم التديّن ثم زعموا أن إدراكهم للأمور هو من الله بطرق سريّة وظنّوا أن الله اختصّهم بمعرفة عقلانية دون غيرهم، هم نفر قبل وجود النصرانيّة وزادوا بعدها ومنهم ابن النديم والحرنانية والكلدان الصّابئة والمانوية والمرقيونية والديصانيّة والانسية وسواها ويبدو أن كل فرقة من هؤلاء كانت تنقسم إلى فرق أخرى.

ويحسن أن ندلّ على هؤلاء كلهم باسم الباطنيين لكثرة ما في مذاهبهم من الأسرار في الاعتقادات والرموز في العبادات، وكثرت تفرعاتهم لأن كل من له أتباع وكان ذلك بعد العصر الهلاني والمقصود بالدين الهلاني، وأتباع مذاهب جمعت مبادئها جمعاً عرفياً تحكمياً من الأديان السائدة ومن النظريات الفلسفية والأخلاقية المشهورة ولهم مَيْل ظاهر والعقائد الباطنية، والعدد /٧/ مقدس لديهم، ولذلك قال المعري:

يقولون صُنع من كواكب سبعة
وما هو الأمن زعيم الكواكب

وأحدهم يدعى ماني الزنديق (٢١٦ – ٢٧٦م) وهو فارسي النسب سرياني اللغة وقتله كهنة المجوس بواسطة بهرام بن هرمز بتحريض من كهنة المجوس في مدينة جُندَيْسابور وقد ادّعى أنه الفارقليط. وله تلميذ يدعى مزدك الذي رأى أن

المال والنساء أسباب الخلافات فوضع الحل. فأحل النساء وأباح الأموال وقتله قباذ فيما بعد عام (٥٢٨م).

قيمة الفلسفة اليونانية: أرى أنه لا بد من التلميح عن سلوك الفلسفة اليونانيّة وعمّا نرى من تأثيرها على العرب.

للفلسفة اليونانية قيمتان هما باختصار قيمة ذاتيّة وقيمة نسبيّة. فالذاتيّة تمثّل دوراً من أدوار الفكر الإنساني، أما النسبيّة فهي الأهم.

الذاتية تمثل معول البحث المتجرِّد عن مصادر المشاكل الإنسانيّة واختلاق طرق معالجتها، وفي الفلسفة اليونانيّة تعميم يتناول جميع جوانب الحياة، ولم يكن السلوك العملي لدى فلاسفة اليونان تقليداً لغيرهم ولا سعياً وراء عواطفهم وأوهامهم، بل كان موقفهم إيجابي معيّن يفرض علمهم ومعرفتهم بأمور الحياة ويعتمدون استذكار السلب والإيجاب مؤيّدين ظنونهم متأكدين من صحتها والمثال في سلوك سقراط وتمسّكه برأيه حتى ولو أدّى إلى شرب السّم ولا يغيِّر رأيه!! حين كان يرى الفساد في ديموقراطيّة المدن اليونانيّة. وبذلك وضع فلاسفة اليونان عقولهم أمام حقائق الحياة ومن هنا أصبحت اليونانية إنسانيّة عامة.

أما الجانب النسبي من الفلسفة اليونانيّة فهو أهم منطلقات الحضارة في تعاقب العصور، لأن جميع النظم الأوربيّة متحدّرة من الفلسفة اليونانية ومن مثلها العليا في التفكير والاجتماع وبخاصّة من فلسفة أفلاطون. ونظمهم الماديّة من أرسطو كما ذكرت آنفاً.

فاليونان أوّل من بذل المعرفة للناس خلافاً لما كان الكهّان يبخلون به على العامّة في الأمم القديمة. ويهمّنا بالأمر ما كان يتعلّق بالعرب خاصّة. فلليونان اليد الطولى بتطوّر الفكر العربي حين ترجم السريان خاصّة كتب الفلسفة اليونانيّة القديمة بالثمن الباهظ. فقد كان المأمون العباسي في بغداد يزين لهم الكتاب المترجم بالذهب - عملا مشكوراً للمأمون من أجل تطوير الفكر في أمّته العربيّة - ولو شتمه البعض لنفس السبب، فقد نظّم الفكر علماً أنه كان يوجد فلسفات أخرى في الصّين والهند واليابان وفي أفريقية والمغرب وأخذ العرب عنها.

لم يقف مجهود فلاسفة المسلمين عند هذا الحد بل تعداه إلى إقامة دعائم فلسفيّة إسلاميّة استمدّوا بعضها من الهندية والفارسيّة والسريانيّة كما استقوا بعضها الآخر من تفكيرهم الخاص، وبذلك أوجدوا فلسفة خاصّة بهم، كابن رشد والكندي والغزالي والفارابي وابن سينا وغيرهم من حكماء المسلمين والنصارى الذين ساهموا في مجالات الفكر الفلسفي تارةً بالترجمة والنّقل وتارة أخرى بالشرح والتعليق على ما تركه أفلاطون وأرسطو وأفلوطين، وأطواراً بما ابتدعوا من مذاهب خاصّة حاولوا فيها التوفيق بين الحكمة والدّين أو بين النقل والوحي، وبذلك ازداد الجدال الديني الفلسفي بين الفرق والطوائف والمذاهب، فنبغ فلاسفة عظام خاضوا في أدقّ المواضيع العرفانيّة وساهموا في الصراع العقلي. ولكن مع الأسف الشّديد لم يلاق الفلاسفة العرب ما يشجّعهم على المضي في أبحاثهم العقلانية حيث تعرّضوا للاضطهاد والعسف والتنكيل، فاضطروا إلى كتمان ما يتفاعل في عقولهم النيّرة حرصاً على سلامتهم.

ولكي نلقي نظرة على الثقافة الفلسفية المعاصرة للقرنين الأخيرين في عالم الغرب سأدرج باختصار شديد ذكر بعض فلاسفتهم. وأبدأ بأصحاب الفلسفة الوجودية. فهذا (كيركجارد) (١٨١٢ - ١٨٥٥م) فيلسوف دانمركي دارت فلسفته حول موضوعات الخطيئة والحرية والزواج والنّدم والتفكير والمصير، ذلك لأنه عانى هذه المشاكل جميعها معاناة عنيفة حيّة نابضة لم يفترضها افتراضاً ولم يخلقها خلقاً ولم يبحث فيها بحثاً أكاديميّاً مجرّداً خالياً من الهم والقلق.

الفيلسوف (نيتشه) ولد في أواسط القرن التاسع عشر (١٥/ ١٠/ ١٨٤٤) في بريكن وهي بلدة

صغيرة قرب (اليبتسيج) في ألمانيا في أسرة دينية. وفي عام (١٨٥٨م) سمّى نفسه عدوّ المسيح. التحق بمدرسة (بقورتا) ثم في جامعة (بون) درس اللغويات والآداب الكلاسيكية، اختير أستاذاً لفقه اللغة بعد تخرّجه من جامعة (بازل). قيل عنه أنه كان ملحداً إلحاداً شديداً. والواقع الذي لا شكَّ فيه أن نيتشه كان مفكراً دينياً بطبيعته وأن (الله) رغم إصرار نيتشه على أفكاره، يؤلف المحور الرئيسي الذي دارت حوله فلسفته كلها.

هيجل: أما الفيلسوف الألماني هيجل المثالي الديالكتيكي، ولد عام (١٧٧٠م) ومات عام (١٨٣١م) قبل أن يولد نيتشه بـ /١٣/ سنة

فلاسفة العرب:

الكندي: وهو أبو يوسف يعقوب ابن إسحق بن عمران من كندة بن يعرب ابن قحطان. هذا الكندي عربي ومن عمود نسبه الحارث الأكبر والأصغر، وكانا من ملوك الغساسنة في جلّق. ولد الكندي في البصرة نحو (٨٠١م) وتأدّب في بغداد وتوفي فيها (٨٦٦م) أو بعدها. عُدّت كتبه /٢٨٠/ كتاباً ويقال إن الكندي أوّل من استحقّ لقب فيلسوف العرب فهو بارز الدقّة في تحديد الألفاظ الفلسفيّة، وقد وصلنا أول كتاب موسيقا من مؤلفاته وقد اعتقد بالتنجيم وكان منجّماً للرشيد وللمأمون (حسب مقدمة ابن خلدون ٦٠١م) وقد سلك على آراء أرسطو في الزمان والمكان، ولديه المعرفة تكون عن طريق العقل والحواس. وإذا سئلنا عن الموازنة بين أرسطو والكندي في قضيّة خلق العالم فنقول: إن رأي أرسطو أن العالم قديم أما عند الكندي فإن العالم محدث من العدم.

الفارابي: ولد أبو نصر محمد بن طرفان بن أوزلَغ في بلدة وسيج قرب فاراب على نهر سيحون في بلاد الترك (٨٧٤م). انتقل الفارابي إلى بغداد وفيها تعلّم العربيّة وتعلّم العلم الحكمي على الطبيب يوحنا بن حيلان، والمنطق على أبي شر متى بن يونس (٩٤٠م) وفي عام (٩٤١م) دخل القائد الديلمي توزون إلى بغداد وقتل الخليفة المتّقي واضطربت الأحوال فجاء إلى دمشق عام (٩٤٢م) ومنها إلى حلب ولزم بلاط سيف الدولة مكتفياً بأربعة دراهم كل يوم يعيش منها بينما كان سيف الدولة يعطي المتنبّي ألف درهم على كل قصيدة. ثم ذهب لمصر وعاد مع سيف الدولة إلى دمشق وتوفي فيها (٩٥٠م) ودفن في مقبرة الباب الصغير.

وكان كالزهّاد في الدنيا منفرداً لا يجالس الناس، واشتهر بمعرفة سبعين لغة وموسيقيّاً تنسب إليه الأعاجيب كإضحاك الناس وإبكائهم، وينسب إليه اختراع الآلة الموسيقية (القانون) وأقرب الناس لفهم فلسفة أرسطو حتى سمّي المعلم الثاني بعد الأول أرسطو.

للفارابي كتب ضاع أكثرها، أمّا نظريته في التصوّف فهي قائمة على أساس عقلي والتعليل لأن تصوّفه نظري، يعتمد على الدراسة والتأمّل وليس بالتصوّف الروحي البحت الذي يقوم على محاربة الجسد والبعد عن اللذائذ. إن السعادة عند الفارابي هي الخير الأسمى لذاته لأنه لا يفضلها شيء آخر يمكن أن ينال الإنسان. وقد وضع الفارابي وصفاً للمدينة الفاضلة وللرئيس أو للملك وعدّد له اثنتي عشر صفة ليكون المستحق لهذه القيادة. وحاول الفارابي التوفيق بين أفلاطون وأرسطو في بعض الأمور، مثال أيهما أثبت في نفس الإنسان طبيعته بقدمها كما قال أرسطو أو العادة المحدثة كما قال أفلاطون. ولم يستطع الفارابي التوفيق بينهما.

أخوان الصفا: وأعرف أن كثيرين يسألون عن أخوان الصّفا لذلك أمرُّ بلمحة عنهم:

هم عشرة أشخاص تألّفوا على مذهب هو: إن الشريعة دُنّست وسيعملون على تطهيرها وكتبوا /٥٢/ رسالة بثّوها للورّاقين (نسّاخ وبائعي الكتب) نشأوا في البصرة في مطلع القرن الهجري الرابع وأخذوا اسمهم من باب الحمامة المطوّقة في كتاب

(كليلة ودمنة) جمعتهم صفات الفضيلة والمحبّة وعمل الخير.

همومهم إلهيّة وجماعتهم سريّة وغايتهم ما وراء الدنيا ويفسّرون ما يكتبون غير ما يفسّره العامّة.

مثلاً: إذا قالوا (القرآن) فهم يعنون رسائلهم. وإذا قالوا (أهل بيت نبينا) فيعنون أخوانهم. والحسين رمز لكل من يستشهد في سبيل مبادئهم. فهم نشأوا إسلاميين وانحرفوا عن الإسلام وهم يملكون حق الخيار في كل ما يريدون فلا قيد عليهم بدين أو فلسفة، ولو أخذوا ما يرونه جميلاً من هذه المبادئ، ومن شروط النجاة عندهم الإلمام بالمعارف ليس فقط المبادئ والأخلاق. بدأوا من رجل واحد وصارت المزايدة بالاقتناع والإفتتاء ولا يستميلون النساء ولا من كبُر وعصيت معلوماته. أساليبهم اللين والكرم.

أخذوا من الفلاسفة اليونان وخالفوا في بعض الأمور. والموت لدى أخوان الصفا أمر مطلوب للخلاص من دنيا الشقاء إلى الحياة السعيدة في الآخرة كجزء من الملائكة والعكس إن الأشرار يصبحون جزءاً من الشياطين.

ابن سينا: ولد ابن سينا عام (٩٨٠م) في قرية من بخارى، ودرس الأدب واللغة قبل العشرين من عمره وقرأ بعدها علوم الفلاسفة من المنطق والهندسة والعقل والطب الذي برع به واستفاد من مكتبة الأمير نوح بعد أن شفاه مما عجز عنه الأطباء قبل عام (٩٩٧م) وتوفي ابن سينا عام (١٠٣٧م).

من صفاته داهية سياسيّة فيلسوف مع الخاصّة دينياً تقيّاً مع العامّة مندفعاً مع هواه في حياته الخاصّة واستفاد فلسفة من طريق الفارابي وفاقه وله كتب متنوّعة وأكثرها وأهمها في الطب. فهو مخيّر ولا يقيّد نفسه بمذهب فلسفي واحد. ولكنه اهتمّ أكثر من غيره بالنفس وهو يعتقد أن لا وجود للنفس قبل وجود الجسد وأن أكثر آرائه فيها من أرسطو. ولا يؤمن بالتناسخ ولكنّه رضي أن يعترف أن النفس لا تزول بزوال الجسد وله قصيدة جمعها من رأي أفلاطون وأفلوطين باحثاً فيها عن الغاية التي هبطت لأجل معرفتها نفس الإنسان الغاية التي خلقت نفس الإنسان لأجلها في رحلة العمر القصيرة من الزمن الطويل التي أوّلها:

هبطت إليك من المحلِ الأرفع
ورقاء ذات تعزّزٍ وتمنّع
محجوبةٌ عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرتْ ولم تتبرقع

وأخيراً يظهر أنه لا يؤمن بأن الجسد يرحل مع النفس أخيراً ولا يرى ولا يتلذّذ لما في الجنّة خلافاً لما ورد في الشريعة الإسلامية وهو كالفلاسفة يؤمنون بعودة النفس لخالقها دون الأجساد. وشقاء النفوس بقدر تقصيرها عن بلوغ ما تشتهي من التهذيب والتقدم العقلي. والخلاصة لدى ابن سينا مذهبه أن في الإنسان إثنان النفس والجسد يتأثّران ببعضهما والنفس لديه حادثة خلاف أفلاطون الذي يدعوها قديمة وهي عند ابن سينا بسيطة لأنها لا تشتمل على متناقضين الوجود والفناء لأنها بقوله خالدة.

أبو العلاء المعري: ولد أبو العلاء حمد بن عبد الله بن سلمان بن محمد المعري في معرّة النعمان عام (٩٧٣م) وبالسنة الثالثة من عمره وقبل السادسة من عمره ذهب الجدري بعينيه. درس الأدب في حلب حتى عام (٩٩٤م) وزار بغداد لاستزادة العلم والمال وعاد عام (١٠١٠م) إلى المعرّة وانقطع عن كل ما ينتج عن الحيوان وسمّى نفسه رهين المحابس الثلاثة عندما قال:

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن النبأ النبيث
لفقد ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسد الخبيث

وقد ساير الفاطميين كثيراً لأنهم استولوا على المعرّة وتوفي فيها عام (١٠٥٧م) ومن صفاته الشخصيّة أنه كان زاهداً في الدنيا ويكره المرأة ومن أقواله فيها:

ألا إن النساء حبال غيٍّ
بهنّ يضيّع الشرف التليد

أظهر على نفسه الإيمان بالله مرة والشكوك مرّة أخرى عندما صعد الجبل ليكلّم الله ولم يجبه قال:

ونار لو نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد
لقد أُسمعْت لو ناديت حيّاً
ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال أيضاً:

ولا تحسب مقال الرسل حقّاً
ولكن قولُ زورٍ سطّروهُ
وكان الناس في عيشٍ رغيد
فجاؤوا بالمحال فكدّروهُ

وهكذا أيضاً ينصح الناس لترك الديانات بقوله:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما
دياناتكم مكر من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فأدركوا
وبادوا ودامت سنّة اللؤماء
يرتجي الناس أن يقوم إمام
ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل
مشيراً في صبحه والمساء

إنما هذه المذاهب أسبا
بٌ لجرّ الدنيا إلى الرؤساء

كان ذكاءُ المعري وقّاداً حسيّاً في حدسه وذاكرته وأنفه، ويحكى عنه لكل مقال مثال؛ ففي الحسّ حادثة طبق الورق، وفي الذاكرة مشاجرة الأكراد، وفي الأنف حادثة قارورة الدواء المركب من أربعة عشر جزءاً. ولقد أهين المعري في بغداد بعد عام (٩٩٤م) وذلك في مجلس المرتضى شقيق الشريف الرضي ذلك بحال دفاعه عن عبقرية المتنبّي، وأمر بإخراجه من المجلس سحباً من رجله (سرد الحادثة في كتاب تاريخ وأكثر).

محيي الدين بن عربي: هو أبو بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي. وكان مولده في مدينة مرسيّة من جنوبي شرقي الأندلس عام (١١٦٥م) في بيت ثروة وتقى وبعمر الثامنة عشر انتقل مع أهله إلى إشبيلية وتعلّم والتقى مع ابن رشد وطاف الأندلس والمغرب سبع سنين ثم إلى الشرق العربي وتركيا واستقرّ في دمشق ومات فيها عام (١٢٤٠م).

إنه متصوّف وشاعر وفيلسوف دمث الأخلاق. شطح بقوله للناس (معبودكم تحت قدمي) فقتلوه وكان يقصد محبّة المال لبيان وجود دينار تحت قدمه، له كتب كثيرة شهيرة. إنه بعد جلال الدين الرومي هو أهم متصوّف في الإسلام، ومزج التصوف بالفلسفة، ويعتبر أساس الكوميديا الإلهية (لدانتي الإيطالي) يظهر عبادته السطحية ويضمر الاعتقادات الباطنيّة. له عدّة قصائد صوفيّة ختم إحداها بالأبيات التالية:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلانٍ، ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن

أديـــن بـــدين الحـــبِّ أنـــى توجّهـــت
ركائبـــه فالحـــبّ دينـــي وإيمـــاني

بقي الكثيرون من فلاسفة العرب لا يتّسع الوقت لذكرهم مثل ابن حزم وابن رشد وابن الفارض وابن باجه وغيرهم وخطر لي أن آتي بواحد قريب من أيامنا هذه ترك بصمة دون سند حين قال:

أيهـــا الشـــاكي ومـــا بـــك داءٌ
كـــن جمـــيلا تـــر الوجـــود جمـــيلا

إنه الشاعر المهجري العربي اللبناني إيليا أبو ماضي، وترك للناس سؤالاً يضع سؤالاً بقصيدته الطلاسم والتي غنّى مطلعها المرحوم محمد عبد الوهاب (جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت..) كأنه ديوجين الفيلسوف اليوناني بحمله سراجاً مضيئاً في وضح النهار ليبحث عن الحقيقة. والفضل في طلاسم أبو ماضي أنها تدعو الناس للتفكير بالتساؤلات الواردة في المقاطع الأربعة والسبعين للقصيدة.

ولقد ورد في كتاب (فكرة التطور في الفلسفة المعاصرة) صفحة /٩٢/ الصادر في الكويت عام (١٩٧٨م) للأستاذ عبد الله عمر العمر ما يلي:

العالم هنري برجسون (١٨٦٩ - ١٩٤١م) يقول: الوضعية الحالية أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انعكس أثر الإنجازات الكبرى في ميادين العلم المختلفة، فقد وطّدت الفلسفة المادية أُسسها فالوضعية قد أبانت لنا قصور العقل عن تناول أشياء تخرج عن نظام العالم المادي أو ما يقع تحت ملاحظتنا وتجاربنا فلا حاجة بعد لصرف جهود لمعرفة ميتافيزيقية لا طائل من البحث فيها.

ومن هنا نأخذ فكرة هي أن يهمنا التطور العلمي أكثر من الهم بالأمور الغيبية. إضافة لما وصل إليه العالم هذه الأيام من تطور تكنولوجي أبرز مظاهره الاتصالات اللاسلكية المعمّمة لجميع الناس.

ولا بد من يوم تفضح الدول الأسرار التي جمعتها الأقمار الصناعية في العشرين سنة الأخيرة.

نحن في هذه الأيام وبعد أن آمنا إيماناً كاملا بوجود الله ووجوب طاعته بتعاليمه، مع من آمن من الفلاسفة بطريق الهدى مع الإنسان الواعي الذي يعتمد على عقله في فحص كل ما يصادف بطريق حياته من المبادئ الفلسفية والتعاليم والوصايا الآتية من الله ومن خلائقه المتنورين، فيستعرض بعقله الذي هو عنصر القيادة فيه، وله حق الاقتناع أو الرفض والتعديل للزيادة أو للنقصان حسب ما يراه صواباً بعقله الحكيم الذي يوصله لأن يحتكم إلى المنطق السليم في كل الأمور ولا ينقاد لأقوال من ظلام الماضي من الزمن دون تمحيص لكي يكون حراً بتفكيره واختياره لتحديد طريقة وتقرير مصيره فإن الله قد أعطانا عقلاً نستعمله في إنارة طريق حياتنا ونسير بقيادته للدنيا وللآخرة في ملاقاة الحساب الذي آمنا بوصولنا إليه يوم البعث والنشور. ولذلك نرى أن الله حين أخذ ما وهب أسقط ما وجب من المساءلة المترتبة على الإنسان نتيجة لأفعاله خيراً أم شراً.

وإذا خطر لي أن أشترك برأي حول آرائهم القديمة القائلة: إن الإنسان نفس وجسد فقط، فإني أستند إلى الكتب السماوية وأقول: إن الإنسان مخلوق من الله بثلاثة عناصر هي: الروح ويلازمها العقل وعليها عاقبة المصير، والنفس وتلازمها الميول والشهوات، والجسد ويلازمه الوجود ونسمة الحياة والقوة للحركة؛ وهذان النفس والجسد يسيران بتوجيه العقل الذي يقود صاحبه لفعل الخير أم فعل الشر.

وقد قال أحد الفلاسفة واعظاً للناس: الملائكة عقل وروح والحيوانات نفس وهوى، أما الإنسان فهو عقل وروح ونفس وهوى، فإذا أطاع الإنسان عقله وروحه صار يقارب الملائكة وإذا اتبع نفسه وهواه صار في الحضيض.




كُنْ صديقي..

شعر الدكتورة: سعاد الصباح

كن صديقي..
كن صديقي..
كم جميل لو بقينا أصدقاء
إن كل إمرأة تحتاج أحياناً إلى كف صديق..
وكلام طيب تسمعه..
وإلى خيمة دفء صنعت من كلمات
لا إلى عاصفة من قبلات
فلماذا يا صديقي؟
لست تهتم بأشيائي الصغيرة
ولماذا.. لست تهتم بما يرضي النساء؟..

* * *

كن صديقي
كن صديقي..
إنني أحتاج أحياناً لأن أمشي على العشب معك..
وأنا أحتاج أحياناً لأن أقرأ ديواناً من الشعر معك..
وأنا – كإمرأة – يسعدني أن أسمعك
فلماذا – أيها الشرقي – تهتم بشكلي؟
ولماذا تبصر الكحل بعيني..
ولا تبصر عقلي؟
إنني أحتاج كالأرض إلى ماء الحوار







فلماذا لا ترى في معصمي إلاَ السوار؟
ولماذا فيك شيء من بقايا شهريار؟

*　　*　　*

كن صديقي
كن صديقي
ليس في الأمر انتقاص للرجولة
غير أن الرجل الشرقي لا يرضى بدور
غير أدوار البطولة..
فلماذا تخلط الأشياء خلطاً ساذجاً؟
ولماذا تدعي العشق وما أنت العشيق..
إن كل إمرأة في الأرض تحتاج
إلى صوت ذكي.. وعميق
وإلى النوم على صدر بيانو أو كتاب..
فلماذا تهمل البعد الثقافي..
وتعنى بتفاصيل الثياب؟

*　　*　　*

كن صديقي
كن صديقي
أنا لا أطلب أن تعشقني العشق الكبيرا
لا ولا أطلب أن تبتاع لي يختاً..
وتهديني قصوراً..
لا ولا أطلب أن تمطرني عطراً فرنسيا..
وتعطيني مفاتيح القمر







هذه الأشياء لا تسعدني..
فاهتماماتي صغيرة
وهواياتي صغيرة
وطموحي.. هو أن أمشي ساعات..
وساعات معك
تحت موسيقى المطر
وطموحي .. هو أن أسمع في الهاتف صوتك..
عندما يسكنني الحزن.. ويبكيني الضجر..

* * *

كن صديقي..
كن صديقي..
فأنا محتاجة جداً لميناء سلام
وأنا متعبة من قصص العشق، وأخبار الغرام
وأنا متعبة من ذلك العصر الذي
يعتبر المرأة تمثال رخام
فتكلم حين تلقاني
لماذا الرجل الشرقي ينسى،
حين يلقى امرأة،
نصف الكلام؟
ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى..
وزغاليل حمام..
ولماذا يقطف التفاح من أشجارها..
ثم ينام..




الحضارة الآشورية

بقلم:
خالد بدور

في بداية القرن التاسع عشر لم يكن يُعرف سوى القليل عن الحضارات الأسطورية في ميزوبوتاميا، والتي تعني (الأرض الواقعة مابين نهري دجلة والفرات).

علماً أن الناس كانوا بطبيعة الحال يعرفون أنه منذ عهد طويل قبل الإمبراطوريتين {الإغريقية والرومانية} بل حتى قبل بناء الأهرامات في مصر. أنه قد قامت حضارة عظيمة على نهري دجلة والفرات.

وكان هؤلاء الناس يعرفون أيضاً أن هذه المنطقة أصبحت فيما بعد بحالة فوضى خلال عهد الإمبراطورية التركية التي دب فيها الفساد.

وكان من الصعب عليهم أن يصدقوا أن هذه الأرض قد تهيأ لها من قبل أن تشهد قصوراً ومدائن رائعة ومكتبات فخمة، وقسطاً رفيعا من الثقافة التي كانت مقترنةً بأسماء [بابل والسامرة وآشور].

ثم لم تلبث وكأن الشمس قد أشرقت بعد ليلة مظلمة، حيث قامت سلسلة من البعثات إلى شمال ميزوبوتاميا، وكشفت النقاب فجأةً عن أمجاد الإمبراطورية الآشورية القديمة. وكان الرجال الذين اضطلعوا بهذه الكشوف الخالدة هم:

الفرنسي /بول بوتا/، والإنكليزي /هنري لايارد/، والألمانيان /كولد يوى وأندراي/.

* * *

كان [بول إميل بوتا] يشغل وظيفة القنصل الفرنسي في مدينة الموصل في شمال {ميزوبوتاميا}، وقد عقد العزم على أن يكشف النقاب عمت بقي إن وُجد من الحضارة الآشورية

القديمة، إذ كان يريد على وجه الخصوص العثور على العاصمة الآشورية العظيمة [نينوى]، التي تواتر أنها مدفونة تحت ركام كبير من التربة خارج الموصل مباشرة.

وفي عام ١٨٤٢ بدأ الحفر في ربوة ضخمة تُعرف باسم "كيونجيك"، وكانت النتائج التي وصل إليها مثبطة.

وفي ذات يوم جاء شخص بدوي كان يراقب /بوتا/ مع عماله، واخبره أن الناس في قريته التي تبعد حوالي ١٤ ميلاً إلى الشمال، ظلوا يعثرون على أحجار منقوشة.. وقرميد من الصلصال مُغطى بعلامات خفية أينما حفروا بمجرفة في الأرض، فبعث /بوتا/ ببعض عماله إلى قرية البدوي في الشمال، فوجدوا حائطاً مكسُواً بألواح من الحجر المنقوش، ولحق بهم /بوتا/ وبدؤوا الحفر، ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفوا بين الانفعال المتصاعدُ غرفاً وأبهاء.. وأروقة، كانت كلها جزءاً من قصر ضخم؛ وعندها تملك /بوتا/ الطرب والنشوة. واعتقد أنه وجد مدينة [نينوى].. ولكن الواقع أن ما كشف النقاب عنه كان {دور شاروكيم} قصر [سرجون الثاني] الذي حكم آشور من عام ٧٢٢ إلى عام ٧٠٥ قبل الميلاد.

وأن القصر قام في الماضي بمدينة عظيمة ذات سبعة أبواب... وكان يرتفع عن المدينة بمقدار ٦٥ قدماً، فوق قاعدة من الآجر، تغطي ٢٥ فداناً، وراح /بونا/ ورفاقه يستكشفون ما عثروا عليه وهم في ذهول.

وكان للقصر ٢٠٠ حجرة شامخة، بُنيت حول أفنية.. وكانت الجدران الداخلية يواجهها ما طوله ميلان من النقوش البارزة المجسَّمة، تصور ملوكاً.. وآلهة.. وجنوداً يقاتلون ويتعبدون لإلههم آشور، وكان يقوم على حراسة أبواب القصر أسود ضخمة مجنحة، وثيران لها رؤوس أدمية.

وقد عمل /بوتا/ على سرقة وإرسال بعض أفضل التماثيل والنقوش التي احتفظت بشكلها عبر نهر دجلة إلى البصرة على الخليج العربي، ومن ثم إلى فرنسا.. حيث يمكن مشاهدتها اليوم في متحف /اللوفر/ بباريس.

اكتشافات أخرى

وفي أثناء قيام /بوتا/ بأعمال التنقيب والاستكشاف جاء إلى {ميزوبوتاميا} بلاد مابين النهرين شاب إنكليزي يدعى /هنري لايارد/ بحثاً عن المغامرة.

وقد استهوته البلاد.. ومن ثم قرر أن يستكشف الروابي الأُخرى الكبيرة، وقام السير /ستراتفورد كاننج/ السفير البريطاني في تركيا بمساعدته لتدبير المال اللازم لدفع أجور العمال العرب.

وفي شهر تشرين الأول من عام ١٨٤٥ وصلت بعثته الصغيرة إلى منطقة الروابي، واستطاع بعد صعوبة بالغة من إقناع الحاكم التركي /محمد علي باشا/ بالسماح له من استكشاف ربوة النمرود التي رأى أنها أكبر موقع يُبشر بنتائج مرموقة.

وقد استخدم العرب المقيمين في المنطقة بالعمل معه. وسرعان ما كشفوا تحت الأرض

من غرف مُبطنة بلوحات من المرمر، تغطيها كتابة مسمارية، ونقوش بارزة مُجسمة عجيبة لرجال يقاتلون.. ويصيدون الأسود.. ويركبون العربات ذات العجلتين، ويهاجمون الحصون بالمنجنيقات، ويتسلمون الجزية من الأعداء المقهورين.

وكان ثمة حيوانان ضخمان مُجنحان لهما رأس إنسان هما: أسد وثور؛ يحرسان مدخل أحد القصور الملكية الثلاثة التي بناها الملك /آشور ناسيبال الثاني ASSUR NASIPAL – II/ عام ٨٧٩ قبل الميلاد.

واستقر عزم /لايارد/ على سرقة وإرسال هذين الحيوانين الحجريين الكبيرين إلى إنكلترا مع كثير من اللوحات ذات النقوش المُجسَّمة.

وبعد مصاعب لا حد لها في نقل التمثالين عبر الرمال على عربة يجرها الجاموس في البداية، ومن ثم جمع عدداً من العمال لا بأس به، وبالتشجيع بواسطة الأغاني والدفوف.. والناي تم حمل التمثالان فوق طوافتين، صنعتا من ٦٠٠ جلد من جلود الأغنام المنفوخة عبر نهر دجلة حتى مدينة البصرة، ومن ثم نقلها في باخرة إلى بريطانيا.

ويوجد تمثالا الأسد والثور الآن في المتحف البريطاني.

وقد ترك /لايارد/ سجلاً شائقاً لحفرياته الرائدة، ولكنه ألغى العراقيل أمامه، بسبب شكوك حاكم الموصل، وسوء ظن العرب بالأجانب.

كما أن الحكومة البريطانية لم تبذل له المساعدة.. أو التشجيع الكافيين، ولكن حماسته انتصرت على كافة الصعوبات؛ وفي النهاية شاركه معاً العرب في نجاحه المثير، الذي أُقيمت له حفلات ضخمة تخللتها الموسيقى والرقص فرحاً وابتهاجاً.

اكتشاف مدينة نينوى

بعد ربوة النمرود بدأ الإنكليزي /هنري لايارد H. LAYARD/ الحفر في ربوة عند {كيونجيك} عام ١٨٤٩ وكان الفرنسي /بول بوتا P. BOTTA/ قد تخلى عنها قبل ذلك بسنوات. وهنا عثر أخيراً على مدينة [نينوى] التي طالما حلم علماء الآثار بالعثور عليها.

وخلال مدة شهر تم الكشف تحت الأرض عن (٩) تسع غرف في قصر ملك آشور العظيم /سنحاريب/ الذي اتخذ من مدينة [نينوى] عاصمة لملكه، وذلك إبان قوة آشور فيما بين عامي ٧٠٥ و ٦٨١ قبل الميلاد.

وشيئاً فشيئاً كشفت تلك الربوة عن كنوزها، وتم اكتشاف أبدع فنون العمارة والنقوش في الحضارة الآشورية.

فقد عثر على نقوش مُجسَّمة ضخمة من المرمر الملون لمعارك حربية وحصون.. وسفن ومُحاربين مُلتحين.. ورماة أقواس.. وفرسان يطاردون أعداء مذعورين، وملوك يمتطون العربات ذات العجلتين، تعلو رؤوسهم المظلات، وهم يتقدمون على امتداد أنهار يحف بها النخيل، وتمتلئ بالأسماك، ونساء وأطفال يُقادون للرقيق.. وأسود مطعونة بالحراب وهي تثب على صياديها من فرط الألم والاهتياج.

وكان في مدينة [نينوى] كثير من أبهاء القصور والنقوش والأسود والثيران المُجنحة مع العلم بأن أهم كشف فاق هذه جميعاً كان المكتبة الملكية للملك /آشور بانيبال/ حفيد /سنحاريب/. فقد عثر على آلاف ألواح الصلصال والاسطوانات تعلوها جميعاً الكتابة المسمارية، ونشط العلماء للعمل على إيجاد مفتاح هذه الكتابة. وحالفهم النجاح في عام ١٨٥٧م، حيث أصبح بالإمكان قراءة الكتابة البابلية والآشورية.

عاصمة سابقة

تم التنقيب عن مدينة آشور عاصمة آشور القديمة قبل [نينوى]. وتم ذلك على أيدي إثنين من علماء الألمان وهما: /كولد يوى KOLDE WEY/ و/آندراي ANDRAE/.. وذلك في مطلع القرن العشرين عام ١٩٠٣م، فقد اكتشفا قصوراً ومعابد.. ومنها المعبد الكبير الهرمي الشكل، المؤلف من عدة طوابق. وهو معبد آشور كبير آلهة الآشوريين، كما اكتشفا كثيراً من القبور التي كانت تحتوي أوان خزفية.. وقدور.. وألواح الصلصال.

لقد كانت آشور بلداً يحتوي على محاجر للحجر الجيري.. والمرمر.. والأحجار. وقد استطاع الآشوريون في مجال فنون العمارة والنقوش أن يشيدوا وينقشوا أعمالاً قادرةً على الخلود آلاف السنين.

أما البابليون في بلدهم الخالي من الحجارة فلم يستطيعوا ذلك.

إنّ جزءاً من عظمة الفن المعماري لدى آشور القديمة ما زال باقياً حتى اليوم سليماً.. في حين أن أحجار الآجر التي تسلطت عليها شمس بابل تفتتْ منذ زمن طويل واستحالت إلى تراب.

أشور بانيبال

لعل السبب الرئيسي في شهرة /آشور بانيبال ASSUR BANIPAL/ مبعثها أننا نعرف عنه الشيء الكثير، قد لا يكون أعظم ملوك آشور، ولكن المصادفة وحدها حفظت لنا مكتبتين كبيرتين في مدينة [نينوى NINEVEH] ولم تكن (كتبْ) هذه المكتبات على غرار الكُتبْ التي نعرفها في عصورنا الحديثة. إذ كانت على هيئة من الطين الخزفي المحروق، وكانت الكتابة تأخذ شكل الإسفين أو المخروط، ولذلك سُمِّيت بهذا الاسم، لأن الحروف كانت شبيهة بالأسافين والأوتاد.. وتروي آلاف الألواح التي انتهت إلينا باقية على قوالبها من مكتبات /آشور بانيبال/ ليس فقط الأحداث التي جرت في عهده من سنة ٦٦٩ إلى سنة ٦٢٦ قبل الميلاد. ولكن جميع ما كانت تحفل به الحياة اليومية لأهالي [نينوى] العاديين وديانتهم وآدابهم.

امة المحاربين

ولدت الإمبراطورية الآشورية التي قهرت كثيراً من البلاد المجاورة في حوض نهر دجلة.

فقد كانت توجد مزايا جغرافية قليلة تتواءم مع موقع المملكة، ويدي، الآشوريين بأسباب العظمة التي توافرت لهم في وحدتهم كأمة؛ إلى جيشهم العظيم.

فعلى حين كانت شعوب أُخرى لا تزال تعمل على أن تكون قبائل منظمة، فإذا بالآشوريين تدعمهم قوات من الجنود مدربين تدريباً جيداً، وفي مقدورهم أن يهزموا القوات غير المدرَّبة التي يزيد عددها على عدد الآشوريين أنفسهم مرات عديدة.

كان /آشور بانيبال/ الابن الثالث للملك /إسار هادون ESAR HADON/ ولم يكن هو الوارث للعرش، وكان أخوه الأصغر.. وهو توأم، واسمه /شاماش شوموكن SHAMASH SHUMUKIN/ ينتظر في بادئ الأمر أن يخلف أباه ويظفر بالملك، ولكن كان ثمة تنافس مرير بين الأخوين.

وتلقى /آشور بانيبال/ معونة كثير من الدول التي كان لها نفوذ فعال آنذاك.

حكم الفتح

ورث /آشور بانيبال/ عن أبيه أمر الحرب مع المصريين الثائرين، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها لإخماد أوار هذه الثورة، فإنه لم يوفق على الإطلاق في أن يحرز غلبة كاملة.

وبعد مضي نحو عشرين عام أصبحت مصر مستقلة استقلالا تاماً. وسرعان ما وُوجه /آشور بانيبال/ بثورة أُخرى، ففي عام ٦٥٢ قبل الميلاد قام أخوه /شاماش/ بثورة بعد أن عزز جانبه بحلفاء من مختلف الحكام في البلاد العربية وعيلام.

وتصرف الملك بسرعة، وفي خلال /٤/ أربع سنوات توفي أخوه وسقطت بابل بين يديه.

وما لبث/آشور بانيبال/ أن وَجه انتباهه إلى العرب والعيلاميين الذين ساعدوا أخاه وهزمهم.

وفيما يلي الوصف الخاص الذي وُصفت به قصة انتصاره مأخوذةً من أحد الألواح.

(في خلال شهر واحد و[٢٥] خمس وعشرين يوماً من الزحف دمرت وخربت أقاليم عيلام).

هناك نثرت ملحاً وشوكاً وجعلت الأرض قفراً تالفة غير ذات زرع.

إن أولاد الملك وأخواته وأعضاء الأسرة الملكية لعيلام.. الصغار منهم والكبار، والولاة والحكام والنبلاء والفرسان.. والصُناع المهرة على كثرتهم والبالغين والأطفال والجياد والبغال والحمير والقطعان والدواب.. والماشية، وهم أكثر عدداً من سرب الجراد، كل أولئك أخذتهم كغنائم وأدخلتهم بلدي.

آشور بانيبال رجل علم وثقافة

على الرغم من الحملات الحربية التي كان /آشور بانيبال/ منهمكاً في تدبيرها، فقد ألفى وقتاً لديه، يكرسه للأدب والعلم والثقافة. وقد كان مسؤولاً عن البحوث العلمية المستفيضة التي كان يعدها رجال العلم الآشوريين عن الآثار البابلية القديمة، التي سجلت لنا كثيراً من التفاصيل القيمة، وقد جمع العدد الكبير من

الألواح المكتبة التي رُتبت وصُنفت بدقة، مُتضمنة بيانات تاريخية، وملاحظات متعلقة بالفلك. وكلمات للآلهة وتكهنات وصلوات.. وأناشيد.. وأساطير عن الإنسان في التاريخ القديم، ومنها على سبيل المثال:

قصص عن الفيضان تشبه إلى حد كبير ما هو وارد في التوراة.

وكان الملك نفسه تطيب له القراءة والمناقشات مع الرهبان المثقفين الذين كانوا يباشرون العمل في المكتبة.

ومما نقرأه للملك نفسه ما كتبه في هذا الصدد:

[لقد تعلمت أسرار فن الكتابة على الألواح، وهو فن نفيس كالكنز.

إني أفهم فأل الخير ونذير الشر في السَّماء وفي الأرض، إني أُجادل في المعاني التي يسوقها أهل العلم، وأعرف كيف أحل المسائل الصعبة في القسمة والضرب، وأعرف كيف أقرأ النصوص المكتوبة باللغة السامرية.

وقد فحصت ما هو مكتوب على الحجارة في عهد الطوفان الذي عم الكون].

نهاية محزنة

كان الملك /آشور بانيبال/ يستطيع في نهاية حكمه، وبعد أن خضع له كل أعدائه أن يقسم وقته بين المطالب الثقافية.. وبين المزيد من النشاط الرياضي.. كالصَّيد والرِّماية بالنبال والسهام، وربما كان يتوقع أن يكون رجلاً سعيداً، ولكن الذي حدث في أواخر أيام حياته الناجحة أن المرض داهمه، وأصبح يساوره القلق من ناحية اختيار خليفته.

وقد كتب بين ألواحه وثيقةً شخصية.. يقول فيها:

[لقد قمتُ بما يجب عليَّ القيام به نحو الآلهة والناس "الموتى والأحياء".

فلماذا إذن يختلف عليَّ المرض والصحة العليلة والشقاء.. والمصائب.

إني لا أستطيع أن أتحمل الخصومات الناشبة في بلدي، والخلاف بين أفراد أسرتي.

أحنت ظهري التعاسة التي ألمنْت بعقلي وجسمي، مصحوبة بالدموع التي أذرفها، على أن منيتي دنت.. يا إلهي.. أراني في يوم احتفال المدينة بالعيد تعيساً، والموت يطبق عليَّ بعنف ويحملني إلى الهاوية].

وعندما توفي عام ٦٢٦ قبل الميلاد كان قد أقام السلام في فلسطين وفينيقيا.. وسوريا، كما قهر عيلام، علماً أن الإمبراطورية التي شيدها ما لبثت أن انهارت بعد وفاته بقليل، حيث نشب القتال بين أبنائه على الخلافة.

وما لبثت بابل أن ثارت وأصبحت في سنة ٦٢٥ قبل الميلاد مرةً أُخرى مملكة مستقلة، وأخيراً استولى البابليون وحلفائهم على مدينة [نينوى].. وكان ذلك عام ٦١٢ قبل الميلاد.

وفي كلمات مما هو مسجل تاريخياً:

أعمل الغزاة سلباً ونهباً في المدينة واغتصبوا أشياء فوق الحصر.

وجملة القول: إنهم حولوا المدينة إلى تلال من التراب..




رسالة إلى جبران

شعر: إيمان نايل عبيد

جـــبرانُ هـــل يغفـــو دهـــري؟!

فالعقـــلُ تحيَّـــرَ في أمـــري

في عمـــري وحـــوشٌ قـــد صُـبغَتْ

بِـــرخيصِ اللـــونِ والحـــبرِ

واللـــبُّ يبقـــى مســـتوراً

مســـوجاً بخيـــوط المكـــرِ

هـــل شـــاءَ الحـــظُّ أن أبقـــى

أتفـــانى وأُنـــاجي فكـــري؟!

هـــل مـــن مـــذبوحٍ ينـــتفضُ

كـــي يُثبـــتَ حقـــاً في الجهـــرِ؟!

أَيُعـــادُ الـــزمنُ المســـفوحُ

فـــأُلاقي مكنـــونَ الـــدُّرِّ؟

وأنـــاجي روحـــاً صـــافيةً

قـــد حاكـــت أحـــلامَ العمـــرِ






وأُســـامرُ طيفـــاً قـــد ضـــاءَ

وتســـامى عـــن فِـــتَنِ الغَـــدرِ

جـــبرانُ.. أوَ كـــان النـــاسُ

في الماضـــي ســـفراءَ الشَّـــرِّ؟

أم أن اليـــومَ أظهـــرَهم

فتَنـــادَوْا كـــيْ يَئِـــدوا زهـــري؟

وكـــأن الخـــيرَ بيـــنهُمُ

قـــد أمســـى مســـمومَ الجـــذرِ

أم أنـــي صـــدقٌ مرفـــوضٌ

لا أدري.. هـــل يكفـــي عـــذري

هـــل أشـــكو ضـــعفَ أقـــنعتي

أو أشـــكو مِنقـــارَ الصـــقرِ

غبـــتَ جـــبرانُ عـــن دنيـــا

قـــد ســـاءت.. دون أن نـــدري

عرَّجـــتَ نحـــو أفـــلاكٍ

مـــا فيهـــا شـــيءٌ مـــن قهـــرِ

وتركـــتَ الـــنفسَ تائهـــةً

تبحـــثُ في الـــنفسِ عـــن ســـرِّ

والـــبعضُ حـــولي يســـعَوْن

لخِـــداعي طـــوراً أو أســـري







وجمـــالُ الوجـــهِ يُبَـــدِّدُهُ

مـــا خفـــيَ فـــيهم مـــن أمـــرِ

والـــدهرُ ينـــامُ.. لا يســـعى

للكشـــف عـــنهم ويعـــرّي

يبقَـــوْن ملاكـــاً في زيـــفٍ

قـــد خـــدعَ النـــاسَ بمـــا يُغـــري

وأُتـــابع صـــدقي.. وأُصـــابُ

بنبـــالٍ في القلـــبِ تســـري

هـــل ظنُّـــوا أنـــي مـــن ضـــعفي

قـــد أبقـــى العمـــرَ في وكـــري؟

وأخـــافُ ممَّـــن قـــد صـــاغوا

للكـــذب فنّـــاً والمكـــرِ؟

هـــل أهجـــرُ قومـــاً قـــد ظلمـــوا

أو تَرضـــى نفســـي عـــن هَجـــري؟!

مازلـــتُ أبحـــثُ عـــن خـــيطٍ

كـــي أدنـــوَ مـــن ذاك السِّـــرِّ

والبحـــثُ مضـــنٍ.. هـــل أصـــلُ

أو أبقـــى للخـــيطِ أجـــري؟

جـــبرانُ.. قـــد نـــام دهـــري

مـــا الخطـــبُ؟ إنـــي لا أدري!



من الأدب الإسباني المعاصر

أديبة الإبداع
ميرثه رودوريدا
Merce Rodoreda

الحائزة على جائزة الشرف الأولى لآداب الكاتالونية

١٩٠٩ - ١٩٨٣

بقلم:
سماء زكي المحاسني

وصف بعض نقاد الأدب والمحاضرين في جامعة برشلونة الكاتبة الكاتالونية المعاصرة (ميرثيه رودوريدا" بأنها كاتبة مبدعة ذات شاعرية.

أما الشاعر الفرنسي المعروف (بول فاليري) فقد عبّر عن إعجابه بالعوالم الداخلية التي اكتشفتها هذه الكاتبة، وبأسلوبها الواقعي المتميز.

وقد شبهها نقاد الأدب أيضاً بالكاتبة البريطانية (فيرجينيا وولف) من حيث عنايتها الفائقة بدقائق الحياة اليومية، فكانت تهدف دوماً إلى وصف العلاقات الإنسانية وما تجلبه للمجتمع، وهو الموضوع الرئيسي الذي يشغل حيزاً كبيراً من الأدب المعاصر في القرن العشرين.

أما ميرثيه فتقول: "تبدو معظم الروايات تقليدية، ولكن يمكن للكاتب أن يجعل الروايات غير عادية في استخدامه أحداث الحياة اليومية والشخصيات التي يلتقي فيها في حياته".

نالت هذه الكاتبة المبدعة جائزة الشرف الأولى للأدب الكاتالوني الخاص بمنطقة كاتالونيا الإسبانية، وذلك في عام ١٩٨١، وفي ١٣ نيسان ١٩٨٣ توفيت في (جيرونا).

كتب عنها الأديب العالمي (جابرييل غارسيا ماركيز) في مقال بعنوان (هل تعلم من هي ميرثيه رودوريدا؟):

"لقد أصبت بصدمة شديدة عندما علمت بوفاة ميرثيه، فقد كنت من أكثر المعجبين بفنها الأدبي، لقد كتبت هذه السيدة روايات يندر وجودها في الأدب المعاصر، وفي رأيي أن

رواياتها المعنونة (زمن الحمام) The Time of the Doves هي أجمل رواية نشرت في إسبانيا منذ الحرب الأهلية، ورغم أن شهرة ميرثيه الأدبية ليست في مستوى قيمتها كأديبة، فقد تميز فنها الأدبي بصدق الوصف والتعبير، فقد كانت تهتم بوصف الناس والأماكن بوضوح وتفصيل، ولعلّي على حق عندما أقول إنها السيدة الوحيدة التي كان يسوقني إليها إعجاب وتقدير لا يقاوم وكنت أتناقش معها حول أعمالها الأدبية الروائية وخاصة روايتها (ساحة الجوهرة) La Placa del Diamant".

ومنها نقتطف هذه القطعة الرائعة التي تمثل أسلوب ميرثيه الروائي الجميل:

"دلفت جولييتا إلى بائع الحلوى لتخبرني بأنها قبل بيع الزهور سوف تبيع وعاء القهوة الذي كانت قد رأته جميلاً أبيض اللون يحمل صورة برتقالة مقطعة إلى نصفين وتبدو بذورها.

لم أكن أشعر برغبة في الخروج أو في الرقص لأنني أمضيت النهار في تناول الحلوى وفي ربط العلب الذهبية والشرائط، كذلك لأنني كنت أعرف جولييتا حق المعرفة فقد كانت لا تحفل بالنوم في الليل، وكان لها القدرة على دفعي للخروج سواء أردت أم لم أرد، وارتديت ثوبي الأبيض ومعطفي، وحذائي بلون الحليب، وقرطي الأبيض وقلادة عنقي التي كانت تتلاءم مع القرط.

ولما وصلنا إلى المكان كانت الموسيقا تعزف، وكانت الزهور تحيط من كل جانب، وكانت الموسيقيون مندمجين في العزم وقد بللهم العرق.

وكنت أجلس بمعطفي الضيق مضطربة، لقد توفيت أمي قبل سنوات وفقدت نصائحها أما أبي فتزوج من امرأة أخرى، وهكذا كنت صغيرة جداً ووحيدة.

وبينما أنا في غمرة ذكرياتي حالمة، سمعت في أذني صوتاً يقول: ألا نرقص؟".

ولدت ميرثيه رودوريدا في ١٠ أكتوبر ١٩٠٩، في برشلونة بإسبانيا، ودرست في طفولتها في إحدى المدارس الدّينية، وكانت من أسرة تهتم بالآداب، فانجذبت ميرثيه إلى عالم الأدب، وبدأت بالكتابة وكانت في الوقت نفسه تمارس عملها في معهد الآداب في كاتالونيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية.

تزوجت في عام ١٩٢٩ من (جوردي جورجي رودوريدا)، لكن هذا الزواج لم يستمر فانتهى بالانفصال عام ١٩٣٧، وأنجبت رودوريدا ابنها الوحيد.

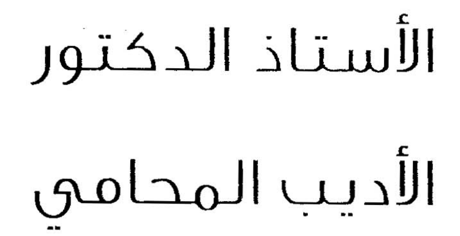
وفي عام ١٩٤٩ نالت ميرثيه لقب سيدة فن الشعر، وعدداً آخر من الجوائز الأدبية.

وتعد الفترة ما بين ١٩٦٧ - ١٩٨٠ فترة تألق ومجد أدبي لميرثه رودوريدا فقد نشرت فيها عديداً من أعمالها الروائية مثل (رحلة) ١٩٨١، (كريستينا وقصص أخرى) ١٩٨٢، (الحديقة المجاورة للبحر) ١٩٨٣.

كما أن أعمالها الأدبية ترجمت إلى كثير من لغات العالم الإنكليزية والإيطالية والفرنسية والألمانية، واقتُبست بعض رواياتها في أعمال سينمائية وتلفزيونية.

الأستاذ الدكتور الأديب المحامي

أحمد عمران الزاوي



بقلم المحامي
ناجح خلوف

علم من أعلام القانون، وألمعي في اللغة والأدب، وفقيه في علم الأديان، ومحام كبير لا يشق له غبار، ومؤلف غزير الإنتاج، يفيض قلمه ثقافة ومعرفة وحقائق، إنه الباحث الكبير الأستاذ أحمد عمران الزاوي.

لقد أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والموثقة، وأوقف قلمه من أجل الحق والعدل والحقيقة هو المناضل بقلمه ولسانه وفكره.

وان تكريم وزارة الثقافة لهذا العلم الكبير، هو تكريم للوطن والأمة العربية وفخر لها، وان افتخرت أمة بعظمائها، فأولى لها أن تفتخر بهذا العلامة الكبير، صاحب الثقافة الواسعة، والأخلاق الفاضلة المحامي الدكتور أحمد عمران الزاوي الذي جمع بين الفكر الاشتراكي والروحي بعمق وانسجام.

تعرفت إليه منذ أن انتسبت لنقابة المحامين بطرطوس ١٩٧٦، وكان رئيس الفرع فيها، وكان المحامون يومها قلائل لا يتجاوز عددهم الستين، ويعرف بعضهم بعضا بشكل جيد.

كنا ننظر إليه باحترام وإعجاب وهو يرافع أمام قوس المحكمة، بقامته المعتدلة وهندامه الأنيق، وبما يملك من كلمة بليغة ولغة جميلة، كانت، كانت تخرج كالدرر من فمه.

وكم كنت معجباً بخطبه في المناسبات التي كانت تجمعنا، فهو خطيب بليغ، ولغوي فصيح، وصاحب لهجة خطابية قلَ مثيلها. إنه علم من أعلام المحاماة، وباحث واسع الثقافة وعميقها في كثير من العلوم والمعارف.

كنت أزوره في المناسبات. وخاصة في المدة الأخيرة، لأنه لم يعد يتردد إلى قصر العدل، فقد استعان في حضور دعاواه بابنه المحامي عمران، رئيس فرع النقابة في طرطوس، فكان خير مساعد ومعين، وخير خلف لأشهر سلف، والده الكريم وكما قيل (أن هذا الشبل من ذاك الأسد).

في كل مرة كنت ألتقية في بيته يستقبلني ويصحبني إلى مكتبته حيث يجمع فيها الكتاب والفلاسفة والفقهاء والعلماء والسياسيون، وكل من له المعرفة مساهمة في والثقافة والعلم.

مكتبة جميلة، تناسقت واصطفت كتبها بشكل حسن، تشع بالعلم والنور والضياء إنها أعظم مكان يجلس فيه الإنسان. فليس هناك أطعمة في العالم أطيب وألذ مما تقدمه هذه المكتبة من غذاء روحي، لا يضاهيه غذاء (فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان).

مازرته مرة إلا وجدت عنده مؤلفا جديدا، يعالج فيه موضوعا هاما شغل الناس فيه، فقد تجاوزت مؤلفاته الخمسة عشر كتابا، وهو مستمر في العطاء لا يكل ولا يمل، تدفعه ملكات عقلية عالية ومميزة، وثقافة عميقة واسعة ومتنوعة. كيف لا؟! وقد أوقف حياته للدفاع عن (الحق والعروبة).

كتب في الدين وفلسفته وتاريخه وأصوله، وفي مختلف العقائد فصدرت له عدة كتب منها: (قراءة معاصرة للقرآن في الميزان، الحقيقة الصعبة في الميزان، القرآن والمسيحية في الميزان، الحضيض، نضال المرأة في مواجهة التحدي، كتاب مفتوح إلى المواطن العربي، كلا لم يخرج العرب من التاريخ ولن يخرجوا منه، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، بؤس الحقيقة في أدب سليمان رشدي وصادق العظم، التصوف، التناسخ، الشاعر نديم محمد فارس لن يترجل.. وكتب أخرى في المجتمع والسياسة والصهيونية.

كان يهدف من وراء كتاباته الدينية قول الحق، الذي يمكن تلخيصه بالعبارة التالية: (الإنسان أخو الإنسان والدين لله والوطن للجميع)، والناس متساوون كأسنان المشط، وإن الإنسانية تتسع للجميع، وإن العظمة كل العظمة في أن يحب الإنسان أخاه الإنسان كما يحب نفسه، مؤكداً على المحبة والعطاء والسلام. لأن الله واحد أحد، محب لعباده، لا يفرق بينهم إلا بالأعمال، فالله محبة وخير مطلق، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك.

وقد أكد الدكتور أحمد عمران في مؤلفاته كذب اليهود والصهاينة، وما جاء في كتب التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، وكشف التزوير الذي حوته كتبهم وتوراتهم، والتناقض الفاضح، والأكاذيب والخيالات والأساطير التي جاؤوا بها على لسان الله، الذي لا يمكن أن ينسب إليه مثل هذه النقائص والدنايا والشرور، فالله محبة وسلام وخير مطلق وليس مجرما أو قاتلاً.

أما إلههم (يهوه) فهم الذين صنعوه وأبدعوه وصوروه على أمثالهم وأشباههم، فهو إله شرير، قاتل ومصاص دماء، يكره شعوب العالم والناس جمعياً، ويقدس شعب إسرائيل وحده.

وقد اعتبر اليهود شعبه المختار وجميع الناس عبيداً لهم، بل أدنى من العبيد كالحيوانات، أحل قتلهم وأخذ أملاكهم وأموالهم، وتدمير كل ما يملكون، فكانوا عبر تاريخهم الطويل (أهل نفاق ومعادن سوء الأخلاق).

وبعد كل إرهابهم وجرائمهم المنكرة هذه، يصفون الشعب الفلسطيني البائس، الذي يدافع عن وطنه وشرفه وحياته بالإرهاب، إنه الباطل بعينه، والأشد نكاية من ذلك يساعدهم الغرب الذي يدعي التقدم والحضارة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية اليوم على الإمعان بجرائمهم هذه.

وقد وصفهم بيلاطس بقوله عنهم: (اليهود أسفل شعوب الأرض وأسوأ الناس أخلاقا).

وكان ذلك عام (٣٣ م)، لقد صلبوا رسول المحبة والسلام، وقد نبه الدكتور أحمد عمران العرب في مؤلفاته وخاصة كتابه: (كتاب مفتوح إلى المواطن العربي) إلى فلسفة هؤلاء الإسرائيليين الأشرار، وإلى أهدافهم وألاعيبهم وحيلهم.

لقد كشف الأستاذ عمران كذب ما جاء في كتبهم، وزيف إلههم (يهوه) وعلل ذلك بالحجة والبرهان والمنطق السليم.

وقد دعا الدكتور أحمد عمران إلى تحرير المرأة، وفكها من الأسر والقيد. وإخراجها من الأغلال التي فرضها عليها المتعصبون، خلافا لكل دين أو شرع فالمرأة نصف المجتمع وبدونها لا توجد حياة ولا أمة ولا شعب، إنها كالأرض منيت الحياة فالمرأة هي الأم والزوجة والأخت والابنة، حملت الإنسان منذ كان نطفة فجنينا فمولودا، إلى أن أصبح كمال نضجه ورشده، ورعته بين أحضانها، فأعطته من جسدها وروحها جسدا وروحا ومن معرفتها وثقافتها جعلت الإنسان إنسانا،

قال أمير الشعر أحمد شوقي:

قم ابن الأمهات على أساس
ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكي
وهن يلدن للغاب السباعا
رأيت محامد الأخلاق شتى
جمعن فكن في اللفظ الرضاعا

وقال حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وأعظم بالقول المشهور: (الأم التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها). وكل أنثى امرأة وكل امرأة أم، والناس كلهم أولادها.

لقد بين الدكتور أحمد عمران مكانه المرأة لدى الشعوب القديمة، وبين أهمية دورها في تربية الأجيال وصناعة الأمم الخالدة، ودعا مجتمعنا العربي إلى مساواتها بالرجل، وإعطائها جميع الحقوق والواجبات وإشراكها في نضال الأمة، وفي صنع الحضارة أسوة بالرجل لا فرق، مبرهنا على صحة أقواله دينيا وعقلياً وواقعيا.

كما أنه وضّح ما يعتري بعض الكتب الدينية والعقائد من أغاليط وتفسيرات غير صحيحة، وأعاد الأمور إلى حقيقتها التي تسمو إلى المثل والقيم الدينية الرفيعة، لقد أراد في مؤلفاته الكثيرة أن يظهر الحقيقة - في الميزان - ويعري الباطل أينما كان، مستعينا ببصيرة نافذة ورؤيا واضحة، ومعرفة عميقة ودقيقة وذكاء خارق، فبانت على يده حقائق كثيرة يعود له الفضل في إظهارها، مبرهناً على صحة أقواله ودفوعه بالوثائق الثابتة والحس السليم، والمنطق القويم، واضعا نصب عينيه (احترام الإنسان الذي خلقه الله على مثاله وصورته).

وزين مؤلفاته بكتاب أدبي هام عن الشاعر الكبير نديم محمد بعنوان (الشاعر نديم محمد فارس لن يترجل)، وشرفني بإهدائي نسخة منه.

وفي جمعه وشرحه لأشعار ذلك الشاعر الكبير، أمير الشعر وملكه، تجلّت العبقرية الأدبية لأديبنا الكبير أحمد عمران الزاوي، في جودة الديباجة، ورقة الأسلوب، وشفافية العبارة وبلاغة الكلمة، والكشف عن شخصية الشاعر العظيم نديم محمد والذي ملأ الدنيا شعراً خالداً مدى الدهر والأيام، حيث بذل الكثير من الجهد في تأليفه وجمعه وشرحه، ومقارنة قصائده بقصائد كبار الشعراء كالبدوي والجواهري والمتنبي، عندما يكون الموضوع واحداً، وبين مزايا وحسنات وبلاغة تلك القصائد، مقارنة بقصائدهم، إضافة إلى ما أفاضه من تعليقات ومقارنات وتعقيبات.

قال مؤلف الكتاب: (لقد لخص الشاعر نديم محمد حياته بهاتين العبارتين: "عشت عمري منصفاً للجار والصديق والقريب ولكني لم أُنصف من أحد")

فشكراً للإنسان الكبير، الدكتور أحمد عمران الزاوي، على مؤلفاته الكثيرة، وأبحاثه الوفيرة، وعلى ما بذله من جهود مضنية، ونضال مستمر، في سبيل إعلاء كلمة الحق والعروبة، وبيان الحقيقة في كل ما كتبه من مواضيع، لقد ترك لنا موسوعة ثقافية وأخلاقية تنير طريق الأجيال مدى الأيام والدهور.

وإني أدعو له بدوام الصحة والعافية وطول العمر، أمد الله في حياته وأبقاه ذخراً للوطن، ومدافعاً شديد المراس عن الحق والعروبة والإنسانية.




تخيرتَ وضاءَ البيان

شعر: عبد الحميد علي – بدوي الساحل

مهداة إلى الأستاذ العلامة الدكتور أحمد عمران الزاوي
تقديرا وإجلالا لعلمه وجهاده في سبيل الحق والمعرفة

علـــى هَـــدْيك الهـادي نسير ونعبر
ونفـــتح أبـــوابَ الصـباح فيســـفر
ونســـتبق الشـــمسَ المـــنيرةَ حفَّـــلاً
إلى روضِــك الزاهـــي نتيـــه ونكـــبر
ونقبس من إبداعك النورَ في الضحى
فكـــلُّ بيـــانٍ عـــن بيانِـــك يقصـــر
تخـــيرتَ وضـــاءَ البيـــان مشـــاعِلاً
تضـــيء الليـــالي الموحشـــاتِ وتُزهِـــر
روائعـــك الكـــبرى تـــألّق ســـحرُها
يؤنـــق وضّـــاحَ الجمـــالِ ويُظهـــر
ويـــورق أســـرارَ الوجـــودِ بـــدائعاً
ويجلـــي خفـــيَّ المعضـــلاتِ وينشـــر
كتبـــتَ وكنـــتَ العـــدلَ في كـــلِّ ســـاحةٍ
تُـــدلُّ بيانـــاً في عـــلاك وتَخطـــر
يراعـــك ســـيفُ الحـــقِّ يمضـــي مظفَّـــراً
يـــدافعُ عـــن حـــقِّ الضـــعيفِ وينصـــر







تصــول وفي كفيــكَ للعــدلِ مَعْلــمٌ

ووَجهــك وضّــاحٌ وفكــرك نيّـــر

بيانــك نــورُ الــذكر في كــلّ آيــة

وغايتُــك القــرآنُ والله أكـــبر

مراحُــك في الجلــى وإرثــك في العلــى

وإنــس يغــال الموحشــاتِ وينــذر

يعطــرك الإســلام نــوراً ورحمــةً

وقلبُــك بالإيمــان قصــرٌ معمَّــر

وكفُّــك سَمْح معرقُ المجـد والنَّـدى

بــه العســلُ المــاذيُّ بــالخير يهمــر

ورثــتَ عطــورَ الحــبِّ عــن خــير محتــدٍ

وخـــيرِ جــدودٍ بالعَفــافِ تــدثروا

عمــائمهم كانــت مصــابيحَ للهــدى

بهــا يهتــدي السَّــاري وينعَم معشــر

فقـــد زانهـــا نـــورُ الـــنبي وآلـــهِ

فبـــارك نعماهـــا الوصـــيّ وجعفـــر

نمـت دوحـةُ الإسلام في رحب أنسهم

وطالـــت ولازالـــت تضـــيء وتثمـــر

كـــرام فقـــد غـــابوا كرامـــاً وعطَّـــروا

بإيمـــانهم وَجـــهَ الحيـــاةِ ونضَّـــروا

ولـــولا عطـــاءاتِ الكـــرام لمـــا اهتـــدى

إلى الظـــل مكـــدودٌ ولا اخضـــرَّ مقفـــر

وهـــل يســـتوي في واحـــةِ الـــدهر عـــالمٌ

يـــذيع الشَّـــذا في الله حبّـــاً وقيصـــر







(أبـــا منـــذر) ألمهرجـــانُ قصـيدةٌ
تـــنغِّم أسمـــاعَ الخلـــودِ وتُســـحِرِ
تضاحك وجـه الشمس في ميعة الضحى
فترفـــل بـــالنعمى بيانـــاً وتغمـــر
محيَّـــاكَ نـــورُ المِهرجـــانِ وعطـــرُهُ
بريَّـــاكَ يـــابنَ الأكـــرمين معطَّـــر
يتيــه علـــى التاريخ مجـدُكَ شـامخاً
وباسمِـك وجـه الضـادِ للـدهرِ مسـفر
ذخيرتُـك الكبرى كنـوزٌ مـن العلـى
بهـا معـرق الأجيـال يزهـو ويفخـر
ونبعـــةُ أضـــواءٍ بكـــلِّ بصـــيرة
لمـن كـانَ في عـينِ الحقيقـة يبصـر
طلعـتَ علـى الـدنيا خطيبـاً مفوَّهـاً
تُـدل بـه الفصـحى بيانـاً وتكـبر
ومـا طـافَ في نـادي الثقافـة هـادراً
بيانُـــك إلاَّ مـــادَ بـــالزهو مِنـــبر
وحصحصَ في الأجداث (قبر بنِ وائلِ)
وجرجـــرَ تـــاريخ وصـــفَّق عبقـــر
ورفَّ علـــى النـــادي طيوبـــاً كريمـــةً
فأيســـرُها مـــا راح يُصـــحي ويُســـكر
(أبـــا منـــذر) أعيـــادُ مجـــدك نبعـــةٌ
مـــن الألـــقِ القدســـي تَهمـــي وتُمطـــر
سماويـــةُ النعمـــى علـــى كـــل ســـاحةٍ
تـــذيعُ ضـياء الصـبحِ بِشـراً وتُسـفِر







ظفـرتَ بمـا ترجـوه مـن عـاطر المنـى
وجـدُك في نيـلِ الرهـانِ مظفَّـر
ومـن عشـق العليـاء لم يـألُ جاهـداً
يـذلل وعثـاءَ الحيـاةِ ويسـهر
وفي يَـدِه نيسـانُه الغـضُّ يتقـي
بريحانِـه حِقْـدَ الهجـيرِ ويَسـتُرُ
لقـد قـيَّض الـرحمنُ للخـيرِ والعلـى
يراعَـك صـوت الحـق بـالحق يجهـر
تـأنقَ يسـتقري الوجـود خيالـه
ويوسـعُه علمـاً وفَهمـاً ويَسـبرُ
فقـد كـان ذوبُ النـورِ سـرَّ مِـدادِه
وراح بنـورِ الله يمشـي ويبصـر
حنـا يشـمل الأشـتات سـعياً مروعـاً
ضـلالةَ مـن في شـرعةِ الحـقِّ يكفـر
وأنـذر قلـبَ الليـل في شـعلة الضحـى
وهـام بأزهـارِ الريـاض يبشـر
ويـوجز كـرمَ العبقريـة مشـفقاً
علـى الشـفةِ العطشـى سـلافاً يقطـر
فطـاف بكـأسٍ مـن معـينٍ ولـذّةٍ
سـلافتُها عـن جـوهرِ الكـرم تخـبر
إذا كـان تكـريمُ العظـيم رسـالةً
فأنـت بهـا أولى بيانـاً وأجـدر
مواسمـك الغنَّـاء طافـت بشـائراً
فـأُترِف محـرومٌ وهلَّـل بيـدر







فمجُـــدك في عـــين الزمـــانِ مخلَّـــدٌ
وفي شـــفةِ الإبـــداع شـــعر وسُـــكَّر
أتيـــتُ أفي بعـضَ الـديون وأنَّـــى لـي
وأنـــتَ الكـريم السَّـمح تعفـو وتغفـر
أتيـــتُ وأشـــواقي تـــذيعُ ســـرائري
وشـــهقَةُ ريحـــاني كـــؤوسٌ وسُـــمَّر
تصابى علـى الأحـلامِ شعري فهسهست
رياحينـــه والشـــعر يغـــوى ويُؤسـر
تجلـــى لعـــيني ألـــف ســـحرٍ وفتنـــةٍ
فطافـــت بأســـرارِ الأزاهـــير تُبحـــر
تخـــادعني في الطيـــف رنـــوةُ شـــادنٍ
ولعـــسٌ وجنّـــاتٌ وجيـــدٌ وأحـــور
ويســـلمني سِـــحرُ الخيـــال لموجـــعٍ
ويشـــعلني بالـــذكريات وينفـــر
أهـــيم فيعـــريني الجمـــال فأحتســـي
لمـــى الشـــفةِ النشـــوى فأصـــحو فاســـكر
أدلِّـــل في قلـــبي اللـــهيبَ مَجـــامراً
وأكـــرم آلامـــي شـــفيقاً وأصـــبر
ومـــا أنـــا إلاَّ جمـــرة تـــوقظ الضـــحى
وتســـرف في النعمـــى وهيجـــاً وتُســعِر
تقرَّبـــتُ قربانـــاً لشـــقوةِ عبقـــرٍ
عبـــدتُ خفاياهـــا ويـــا ربُّ أعـــذر







ويـا ربٌّ لـولا الشعر مـا نـوّر الـدجى
ثـلاثُ شـخوص كاعبـانِ ومعصـرِ

(أبـا منـذرٍ) مـا فـارقَ الزهـوُ والنـدى
رياضَـك للنعمـى ولا غـارَ كـوثر

تـأنَّق نيسـانُ الثقافـةِ والعلـى
على الصـبح يسـتجلي يعيـد يصـوِّر

فـرفَّ أكـاليلاً علـى سـاحِكَ الـذي
بكـلِّ كـريمٍ معـرقِ المجـدِ يزخـر

سـتقرؤك الأجيـالُ نـوراً وتزدهـي
بآدابـك الفصـحى وعصـرك أعصُـر

سـقيتَ أديـمَ الشـام بالحـبِّ والشـذا
وقلـتَ طريـق الشـام للفـتح مَعبر

وفي غيلـها غيـلِ الأسـودِ (مظفَّـرٌ)
علـى كـلِّ سـاحٍ معـرقَ النصـرِ يـزأر

ورايـاتُهـا للمـدلجين معـالمٌ
تـروع غـدرَ الحالكـاتِ وتنـذر

فيـأمن مهـزومٌ وتضـحك أمـةٌ
ويشـمخ تـاريخ وتصـهل ضـمر

وعمـرو بـن ودٍّ يعـرف الشّـام أنهـا
تهيـأ فيهـا ذو الفقـارِ (وحيـدر)

وتاريخُهـا للثـأر والفـتح (خالـدٌ)
يـذيع خفايـاه علـى الـدهرِ خيـبر




لقاء مع الأديبة

أمل أسعد لايقة

نجمة تضيء المسافات البعيدة
في
فضاء الشعر وأحضان القصة

حاورها:
بيير إيليا البازي

جمعتني الصدفة مع باقة من المهتمين والمهتمات بالأدب وبعد عودتي من بلاد الاغتراب ونحن نناقش أزمة الأدب النسائي حيث سطر قلمي بعض عبارات حملت في طياتها بطاقة حب ومودة وإخلاص للأقلام النسائية خاصة الأديبات السوريات من الجيل الجديد الذي يبشر بأدب تفوح منه رائحة العنبر والياسمين خال من قضايا التزيين والمساحيق وموضة العصر في بلاد الاغتراب وتأكيد بأن الأنثى لم تخلق للإنجاب فقط. ومن خلال إعدادي لمقدمة هذا الحوار مع الشاعرة المتألقة أحسست بأنني أمطتي فرسا سحريا أو بساطاً أحمدياً أو صهوة الحصان الطائر كما في الأساطير، وعشت مع كل سؤال ينتظر من الشاعرة الجواب بفارغ الصبر ليعيش كل كلمة بنبض المشاعر، للأحلام التي لانهاية لها لأضع بين يدي القارئ اللبيب زبدة الحوار:

- الأعمال الأدبية هي مرآة الكاتبة أو الشاعرة، ما هي الرسالة التي أحببت توجيهها ولم تستطيعي الإشارة إليها، ربما هناك متاعب أو صعوبة في البوح بها؟

** أولاً أنا مؤمنة بأن من يريد أن يقول شيئاً أو يكتبه فعليه ألاَّ يخاف أو يتردد، ما نفع الإنسان دون حرّية، وما نفع القلم دون مصداقية، ورسالتي باختصار إيصال حقيقتي وإظهارها بالشكل الذي يليق بها وبما تحمله من جمال وجنون وحب ووضوح.

أما المتاعب والصعوبات فهي كثيرة ومتعددة الوجوه، لكنها لن تقف يوماً بوجه بوحي وأحلامي.

- أين تجدين نفسك في الشعر أو القصة ولماذا؟

** الشعر هو عالمي وما القصة سوى جزء من عالمي الشعري.

بالنسبة لي القصة التصاق بواقع الحياة ومعايشة يومية للتفاصيل الصغيرة والكبيرة وأنا أهيم بالشعر لأنه يحكي أبعد من الحياة ويكسر حاجز اليومي والعادي والمألوف ليتجاوز ذلك بأعذب اللغات وأقربها للنفس.

الشعر بالنسبة لي رقص وغياب.. عذاب واستكانة.. بحر من الشطح والامتداد.

• يمر المرء بمحطات ومواعيد قد يجبر بالتقيّد بها وهي خارجة عن إرادته الشخصية، ما هي المحطات التي مررت فيها ولست راغبة بالنزول فيها أم أن الزمن والقدر قد تغلبا على إرادتك الشخصية مع المعذرة؟

** هناك محطات كثيرة هي بمثابة ذاكرة ونحن نستطيع أن نستمر دون تلك الذاكرة لأنها محصلة حياة وتجارب وأشياء لم تعد موجودة لكنها مازالت متوقدة.

ربما في فترة من الفترات كان يمكن للزمن والقدر أن يتغلبا على إرادتي إلاّ أنني كمن استيقظ في اللحظة المناسبة وأنقذ نفسه من خطر وشيك.

هزمت كل ما يعيق إرادتي ومازلت مستعدة للمضي أبعد من ذلك.. الكتابة مفتاحي والحلم واحتي الخضراء في عالم يوشك على الاصفرار.

• قليل من أمثالك هن المبدعات ومن خلال قراءتي لأعمالك هناك أسئلة تنتظر من قبل مجهول، هل لديك الأمل بأن الإجابات سترد قريباً؟

** ثمة أسئلة جميلة من المؤلم خدشها بإجابة.

وثمّة أسئلة مؤلمة من الأفضل بقاؤها معلقة.

ولكنني تعلمت أن مَنْ يُحسن طرح الأسئلة كمن امتلك نصف الأجوبة والشاعر يبقى في حالة بحث وانتظار وربما هذه مهمته أن يبقى على قلق وتساؤل واندهاش، أما الأمل فهو الماء العذب الذي أرتوي منه كل لحظة كي لا تجفَّ حديقتي وكي يستمر الحبر في شراييني.

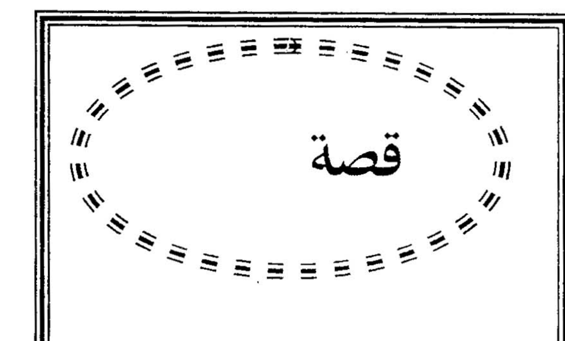
• هنالك فلسفة شعرية وأسلوب قصصي وإرادة في دمج الواقع بالخيال وجعل الحلم حقيقة وروح الثقة موجودة بالنص، فمن يقف وراء الإبداع؟ الإرادة – المعاناة – الوقت؟

** كل شيء يقف وراء الإبداع. أنا أتأمل كثيراً، وروحي تجوس كل الأماكن كل الأحزان، كل الفصول، كل الأحلام.. أقرأ يومياً وكلما قرأت أكثر شعرت بأني مازلت في أول الطريق.. أشياء كثيرة تساعد على الإبداع أولها عوالمي الداخلية وبعدها تأتي معطيات الخارج التي من أهمها الأسرة والأم تحديداً لأن الوالد توفي مذ كنتُ طفلة، تعلمت منها كيف أصل إلى ما أريد بالثقة والطموح.. دون خوف.. دون تردد. أمي هي الدم والحبر في مملكة الحواس.

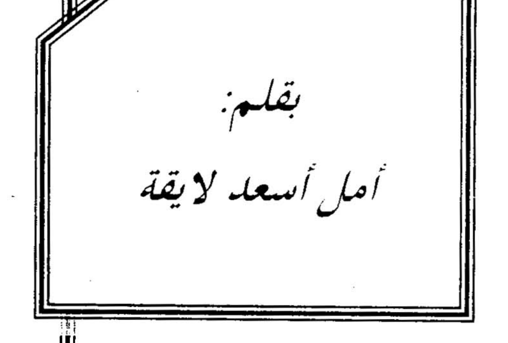
• لمن تكتبين، وماذا تنتظرين من الآخرين؟

** أكتب للمطر.. للحرية.. لإنسان ما.. يقرأ الحياة بعين دافئة.. أكتب للحب أينما كان.. في أي زمان ومكان..

أنتظر من الآخرين المقدرة على مواجهة الجهل والقمع والتحرر من الخوف وتثقيف الذات اجتماعياً ونفسياً.. أنتظر عالماً أقل بؤساً وأكثر فرحاً.



نافذة في جدار هش



هذه المرّة لن أتراجع، سأكون مسؤولة عن كل النتائج.

آن الأوان لأحدّد طريقاً لا يسبب لي الموت البطيء.

بينما أمشي وصلت إلى حديقة مليئة العشاق، جلست على أقرب مقعد وحاولت تجاهل نواح هذه وقبلة ذاك وهمس هذا وانفعال تلك.. أريد أن أخلو بأفكاري.

حدّثت نفسي:

سيلومني الجميع، سأُتّهم أنّي لا أُحسن التّعامل مع الحياة الزوجية، مهما شرحت لهم فأنا المخطئة وأنا المسؤولة فلا أحد تدخل بخياري ولم يعترضِ أحد على قناعتي بما أفعل.. أذكر يوم كنّا خطيبين كم ابتلعت من مشكلات وحساسيات كي لا يجرح أحد مشاعره أو يزعجه بكلمة، وكي لا أبدو ضعيفة أمام المواقف التي تعترضني. وكنت مؤمنة أن كل ما يحدث بيننا طبيعي كحال أي شريكين يتعرفان على بعضهما وهما موضع اختبار لمشاعرهما وأفكارهما.

قلت:

ستنمو أزمنة على حافة النسيان وفي مساحات القلق سأعيد روحاً تتوقف لاحتفال ينهمر على أصيافنا الحارة.

تلك الأفكار جاءتني في غسق ضبابي، لأنني تورطت في ابتلاع آلامي وما عدت قادرة على التراجع أو بثّ الشكوى.. يجب أن أتماسك وأتكيف.. قد يكون ما أفعله لصالحي في المستقبل.. إنّه من اختاره قلبي وعقلي دون الناس جميعاً، وتابعت حياتي معه إلى أن تزوجنا، ويا لتلك الفجيعة.. لا شيء تغيّر.. يثير المشاكل لأقل موقف، يعترض لمجرّد

الإعتراض، يرفض مناقشتي، وبعد قليل يعتذر متألماً من سوء تصرفه.. يمسح بأصابعه شعري ويحتمي بتسامحي وطيبة قلبي.. يقبلني والدموع على خدي.. يلتمس حناني الذي اعتاد عليه.. يحملني إلى السرير ويهمس بأذني:

- أحبك يا مجنونة

كنت أحاول تدجين ثورات غضبه، أبلسم مسيرة حياة مازالت تبلور ملامح تجربتها بلغة تتماهى مع شرط الاستمرار.

تأملاتي وصرخاتي الداخلية تستعصي عليّ أحياناً إلاّ أنّني أتقمّص شخصية تنسجم وهذه التّناقضات.

نهضت لألقي بقدمي خارج الحديقة المشبعة برائحة الحب، تعبرني شواطئ صاخبة ورمال موحلة، تعبرني الأغنيات التي ردّدناها في هذا الشّارع وذاك. تمضي بي الذاكرة إلى هناك.. حيث الأحلام وبراءة العواطف ودفء البوح.. حيث كل شيء يبدو ممكناً في لحظة إعتراف بالحب! ها أنا أتكلم كالبلهاء:

لن أعود أتحمّل زواجاً مهدّداً بالانهيار وزوجاً يهدد بالحصار النفسي كل صباح، يخاف عليّ، يضغط على أعصابي لأنه باختصار شديد.. يحبني.

وجدت نفسي أمام منزل والديّ، منزل طفولتي..

هل أدخل وأشكو لهما همّي؟ ما ستقول والدتي؟

"هذا اختيارك، أنت المسؤولة. هو الرجل وله حق عليك، لا تعانديه ولا تتحديه. إصبري عليه"

اللاّءات ستنهال على رأسي كالسّياط.. أما والدي، سوف يصمت ويهز رأسه متأسفاً ثم يقول:

"القرار بيدك يا ابنتي."

آه يا والدي لو أعرف قراري.

هاً هي أمي وكأني أسمع صوتها في أذني:

"عودي يا ابنتي إلى زوجك، المرأة الصالحة تتغاضى عن هفوات زوجها، إنها لا تخرب بيتها بل تحافظ عليه".

سأقول لها:

"هذا كلام يصلح لزمانكم يا أمي أما زماننا فيحتاج إلى موقف".

لن أدخل وأعرّض هذا الصّدع الذي في داخلي إلى شرخ.

أمشي وأمشي علّ الهواء يساعدني على التفكير الإيجابي، لم أعد أريده، لا أطيق الحياة معه، لقد مللت اعتذاراته كلما بدأ معي سلسلة تحذيراته اليومية مع فنجان القهوة وقبل خروجي إلى الجامعة:

"لا تتكلمي مع فلانة.. صديقتك تلك لا أريدها في بيتي.. لا تتأخري.. خففي واجباتك الاجتماعية.. خففي ساعات محاضراتك"

يحاسبني على أقل خطأ غير مقصود.. لم يعد يعجبه الطعام الذي أعدّه له، ينفر من ترتيب البيت.. يثير الفوضى حوله.. يغضب من فتح الستائر.. يتأفف إن رفعت سماعة الهاتف..

هل يغار مني أم يغار عليّ! لم أعد أفهمه، شيء ما يتداعى بيننا..

ترى ماذا تخبّئ هذه المنازل التي أمرّ أمامها.. ما وراء هذه الجدران والنّوافذ المغلقة!

هل فيها مشكلة تشبه مشكلتي؟ زوج يشبه زوجي وامرأة حائرة تشبهني؟

هل هناك قاعدة عامة للزواج؟ هل الحب أن يسيطر عليك الآخر وأنت راضٍ؟ هل الحب حقاً هو.. ألا تعيش مع إنسان تحبه تحت سقف واحد طوال الوقت؟

ربما.. الحمد لله ليس بيننا أطفال، إذاً لما فكرت بمجرد الخروج من البيت.. هل ستكون حياتي أكثر رحمة.. أكثر كرامة إن تم الطلاق بيننا؟

ما سيحصل معي كمطلقة أصعب بكثير مما أنا عليه، على الأقل.. القمع الآن بيني وبينه أما بعد ذلك فسيكون بيني وبين مجتمع بأكملها لم يخرج بعد من ذكوريته.

أين سأجد الإنصاف؟ مع أهلي وعيونهم الخائفة:

"لا تتأخري.. الجيران لا يرحموا.. الأقرباء يشمتوا.. الأصدقاء يتلاسنوا خفية.. الحديث عنك سيكون مع كل فنجان قهوة صباحي للنسوة".

وليكن، لن أتراجع ولن أعود بعدما وصل به الأمر حدّ الضرب والشتم.. هل يعقل من رجل متعلم وناضج أن يمد يده على زوجته لأنها قالت له:

"لا أسمح لك بقمعي.. وصبري على تصرفاتك ليس خوفاً منك بل احتراماً لما بيننا وإن كنت لا تأبه لذلك فعليك أن تنتبه له في المرة القادمة، لقد (بلغ السيل الزبى)".

لقد ضربني أكثر من مرّة.. شعرت أنا المرأة المقبلة على نيل الدكتوراه والتي يقدرها الجميع إلاّ زوجها.. شعرت أني مثل دودة تحت قدمي وحش.. لا.. لن أعود..

في الليل يستلقي بجانبي ويداعبني قائلاً:

- أنت لي.. لا أستطيع أن أتخيل زوجتي خارج ذاتي ومملكتي.. اغفر لي.. أحبك وإن تركت متابعة الدكتوراه سأكون رجلاً آخر يحسدك العالم عليه.. وإلاّ قد أتزوج عليك..

يقول مازحاً وهو يرتمي فوقي.

يصعقني كلما حدّثني بهذه اللغة الرجعية. يخاف من نجاحي وتفوقي.. لا يريد أن أساويه وأكون نداً له.. لم يكن كذلك.. إذاً كان يسايرني عندما كان يشجعني على متابعتي، كان يدّعي الفرح كي لا أغيّر نظرتي بأفكاره، وها هو يصغر في عيني..

لا.. أيتها الشمس لا تذهبي قبل أن تساعديني.. يا إلهي.. أنا أحبه أيضاً لكنه ما عاد يطاق.. أنانيته تجرحني وتخيفني.

أوقفت تاكسي ورميت بجسدي المنهك على المقعد. سألني السائق:

- إلى أين؟

لو يدري هذا السائق كم من الوقت مرّ وأنا أفكّر في جهتي!

أجبته بعد أن استدركت أنه ينتظر أن يعرف.

صعدت الدرج بتردد وأسى.

فتحت الباب.. شممت رائحة بيتي، اشتقت إليه.. هدوء مربك.. بحثت عنه لربما كان نائماً، لم أجده.. وجدتُ ورقة مفتوحة على آخر ما توقعته كتب عليها:

"ورقة الطلاق ستصلك غداً.. لقد خرجت عن طاعتي.. مبروك عليك الدكتوراه..".

شعرت بالدوار والغثيان وكان ثمّة صوت يملأ الغرفة ويملأ رأسي وأنا شبه غائبة:

"ليتك لم تخرجي.. ليتك لم تخرجي".




نهر الخوابي

شعر: أمين عينروقي

بـــلادي مـــن ذرى صـنين أعلـــى
جنـــانُ أرضـــها جـــبلاً وســـهلا
قـــرى نهـــر الخـــوابي ســـابحاتٍ
علـــى ســفحٍ مـــن الزهـــرا تـــدلى
وغابـــات بـــديع الخلـــق فيهـــا
تعـــالى الله خالقهـــا وجـــلّ
جميـــع الكائنـــات تعـــيشُ فيهـــا
بـــأمن لا يـــزول ولـــيس يبلـــى
يعـــايشُ بعضـــها بعضـــاً ســـلاما
تولاهـــا الإلـــه بمـــا تـــولى
يســـير النهـــر في حضـــني هضـــابٍ
تلـــوّى في المســـيرِ ومـــا أقـــلّ
بـــوادٍ أخضـــرَ عبـــقٍ نـــدي
شـــبيه العطـــر رائحـــة وشـــكلا
تعانقـــه السّـــواقي واجفـــاتٍ
كمـــا كشـــفت عـــن الساقين خجلـــى
ينـــابيعُ علـــى المـــيلين تســـقي
مـــن الثمـــرات أعنابـــاً ونخـــلا
وليمونـــاً وزيتونـــاً وتينـــاً
وإجّاصـــا بـــدمع الغـــيم يُجلـــى
بمـــاءٍ دافـــقٍ عـــذب فـــراتٍ
مـــع الأقـــداح يُـــنعشُ حـــين تُمـــلا







تواكبــــه الزهـــور بضــــفتيه
فمـــن حبـــقٍ ورمـــانٍ ودفلـــى
تســـمّرُ عنـــد ضـــفّته عيـــوني
إذا قمـــرٌ علـــى الـــوادي أطـــلَ

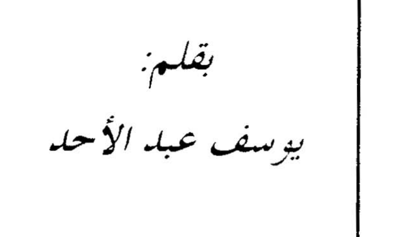
* * *

تمـــر بـــه الصـــبايا كـــل عصـــرٍ
فنـــارٌ في حـــدود الصـــبر تُصـــلى
تُـــداعبُ شـــعرهنّ الـــريح حينـــاً
وحينـــاً تنشـــر الأطيـــار ظِـــلا
يســـرن علـــى الضـــفاف فـــلا ربيـــعٌ
ولا تفـــاح في الجـــولان أغلـــى
ومـــا مـــن كاعـــبٍ إلاّ ســـبتني
جمـــالٌ مـــا أبـــيحَ ومـــا أُحـــلّ
أناديهـــا علـــى وجـــعٍ بصـــدري
أصـــوتُكِ أم حفيـــفُ الغـــابِ أحلـــى
فترمقـــني فتصـــرعني شـــهيداً
وقبلـــي كـــلّ مـــن أغوتـــه قتلـــى
بـــلادي جنـــة الـــرحمن فِيهـــا
وفيهـــا صـــنعة البـــاري تجلّـــى
فمـــا فارقتهـــا إلاّ حزينـــا
ولم أعهـــد لهـــذي الأرض مـــثلا
كمـــا الفيحـــاء ترفـــل في صـــباها
كـــذا الـــوادي هنـــا أرضـــاً وأهـــلا




نازك العابد بيهم

١٨٨٧-١٩٥٩



بقلم:
يوسف عبد الأحد

أديبة وصحفية ومناضلة، ورائدة النهضة النسائية في سورية ولبنان. ولدت في دمشق عام ١٨٨٧ من أسرة عريقة، والدها مصطفى باشا العابد من أعيان دمشق: تولى محافظة الكرك ثم ولاية الموصل في العراق في العهد العثماني.

والدتها السيدة فريدة الجلاد من سيدات دمشق الفاضلات.

تعلمت نازك مبادئ العربية والتركية في المدرسة الرُشْدية بدمشق، وتابعت دراستها في المدرسة الرشدية في الموصل بالعراق حيث كان والدها والياً عليها.

درست اللغتين الفرنسية والإنكليزية في معاهد خاصة وأخذت تنشر مقالاتها في مجلة العروس لصاحبتها ماري عجمي (١٨٨٨ - ١٩٦٥) ومجلة الحارس. كانت تدعو إلى نهضة المرأة العربية وتحريرها وطالبت بحقوق المرأة الاجتماعية والسياسية.

خلال الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ فقدت كثيرات من النسوة أزواجهن وآباءهن، فقامت نازك مع نخبة من سيدات دمشق

المناضلات وأسسن (جمعية نور الفيحاء) سنة ١٩١٨ لمساعدة المنكوبات وافتتحت مدرسة باسم الجمعية لبنات الشهداء ومشغلاً للخياطة لإحياء الصناعات والفنون الوطنية.ثم أصدرت مجلة (نور الفيحاء) في شهر كانون الثاني ١٩٢٠ وهي مجلة نسائية أدبية أخلاقية صدر منها تسعة أعداد ثم احتجبت.

جاء في مقدمة العدد الأول:

"نحمد الله الذي منحنا من قوة الجسد ووهبنا من العقل والفكر ما نقوى بهما على خدمة هذا الوطن. والذي شجعنا للإقدام على هذا العمل الشاق هو أن نشجع غيرنا من السيدات السوريات المتعلمات وغير المتعلمات ليعبرن عن أفكارهن بقدر الاستطاعة ويبثثن ما في نفوسهن من الآلام والأوجاع ويطالبن بحقوقهن المشروعة".

أسهمت نازك في تأسيس النادي النسائي الأدبي وتأسيس فرع للصليب الأحمر باسم جمعية (النجمة الحمراء) وعهدت إليها وزارة الصحة في عهد الملك فيصل برئاسة الجمعية ثم تحولت هذه الجمعية إلى (الهلال الأحمر).

تزوجت المؤرخ اللبناني الكبير (محمد جميل بيهم) (١٨٨٧ - ١٩٧٨) وانتقلت معه إلى بيروت، حيث استأنفت نشاطها الاجتماعي وأخذت تساعد العاملات وأنشأت لهذه الغاية نقابة للمرأة العاملة سنة ١٩٣٣ وبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ قامت مع بعض السيدات الفاضلات لتأمين العمل للاجئين وأنشأت لهن مدرسة داخلية ومشغلاً صناعياً وميتماً لبنات الشهداء في لبنان.

حازت نازك على رتبة رئيس في الجيش العربي السوري بموجب المرسوم المؤرخ في ١٧ تموز ١٩٢٠.

لم تنجب أولاداً ولكنها قامت بتربية عشر بنات في بيتها.

نالت وسام الشفقة (الهمايوني) من السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٢١ ووسام الأرز اللبناني برتبة فارس سنة ١٩٧٥.

وافتها المنية في صيف ١٩٥٩ في بيروت وأقامت لها الهيئات النسائية حفل تأبين في بيروت وأشاد الخطباء بمآثرها ونضالها وما قدمته من خدمات وتضحيات خلال حياتها.

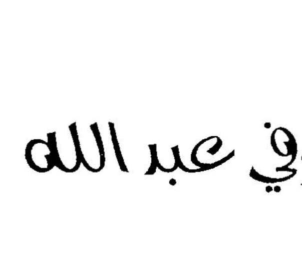



قدر..

شعر: علي مرهج

علمــتني الحــب أن أهــوى علــى كِبَــرٍ
مــن نــار حبــك يــا سمــراء أشــتعل
لامســتِ قلــبي وهمــسُ الــروح أغنيــةٌ
(تحــيّ السرور) ويزهــو العمــرُ والأمــل
هــام الفــؤاد وغنّــى للــهوى طربــاً
يــا حــبّ حلّــق فــدتك الــروح والمقــل
فجــاوبتني وخفــق القلــب في وَلَــهٍ
هــذي الصــراط أمــان مــا لــه مَثَــلُ
الحــب دربٌ قــويم لا حــدود لــه
فضاؤه الروح في أجوائه رسل
لا تشــغلِ البــال لحــن الحــب ناصيةٌ
لكــم تغنّــى بهــا نــاس وكــم ثملــوا
ونــادمتني ومــاء الوجــه منتثــر
فيــه الــورود خضــيب كلــه خجــلُ
قبلتهــا (ولهيــبُ الشــوق يغمرنــي)
والقلــب يصــدح والأحشــاء تعتمــلُ
وبــادلتني علــى استحياء لهفتهــا
فــزال همــي وزال الغــمّ والوجــل
أمنــت بالحــب دينــاً والهــوى قــدراً
لا يقبــل الحــقّ زيفــاً ينتهــي الجــدل
إن الشــرائع والأديــان قاطبــة
عــين الحيــاة بــوهج الحــب تكتحــل
أعلنــت حبــك للأطيــار أغنيــة
لحــن الخلــود ثــراء نعمــة جلــل



صحفية وقاصة ومترجمة

١٩٢٥ — ٢٠٠٣

بقلم:
عيسى فتوح

صوفي عبد الله، صحفية وقاصة وروائية وكاتبة مسرحية مصرية، ولدت في مدينة (الفيّوم) في كانون الثاني عام ١٩٢٥، ثم نزحت مع أسرتها إلى مدينة (السويس) حيث تلقت دراستها في المدرسة الإنكليزية الابتدائية، فمدرسة الراعي الصالح الفرنسية، ثم المدرسة الإيطالية الثانوية في القاهرة، وبعد أن تخرجت فيها عام ١٩٤١ رتب لها والدها بعض المدرسين كي تحصل على ثقافة خاصة، ورعى موهبتها المبكرة، لكنه بحكم نشأته الصعيدية المحافظة لم يسمح لها بدخول الجامعة لاستكمال دراستها.

درّست مادة تربية الطفل في المدرسة الأميركية بطنطا مدة عامين، ثم تركتها بسبب زواجها من الدكتور نظمي لوقا وانتقالها إلى القاهرة.

عشقت الأدب منذ صغرها، وبرعت في الإلقاء وأداء الأدوار في حفلات التمثيل المدرسية السنوية، وحصلت على بعض جوائز التفوق.

عكفت على قراءة الآداب العالمية وتاريخ الحضارة والفن، واهتمت بعلم النفس لشدة ميلها إليه وولعها به، وقد أتيحت لها بعد وفاة والدها فرصة مواصلة هذه الاهتمامات، مع مزيد من التحرر الفكري على يد زوجها الشاعر والروائي الدكتور نظمي لوقا الذي شجعها كثيرا على مواصلة اشتغالها بالثقافة والأدب.

بدأت حياتها الصحفية عام ١٩٤٨ بمجلات دار الهلال، فعملت في مجلتي (المصوَّر) و(الإثنين)، ثم مجلة (الهلال) التي كانت تنشر فيها ملخصات للكتب العالمية، كما ترجمت بعض الكتب والروايات لسلسلتي (كتاب الهلال) و (روايات الهلال)، والمسرحيات العالمية الملخصة لمجلة (الكواكب)، وحين صدرت مجلة (حواء) عام ١٩٥٥ تولت تحرير زاوية (مشكلتك) إلى جانب نشر قصصها ورواياتها التي لم تتوقف عن كتابتها.

كانت صوفي عبد الله أول سيدة مصرية ألفت للمسرح عام ١٩٥٠ بإشراف الأستاذ زكي طليمات (١٨٩٦ - ١٩٨٢)، فكتبت مسرحية اجتماعية ذات مغزى فلسفي تدور حول أنه في المجتمع التنافسي الأناني لا وجود للرحمة، إلا إذا كانت هناك مصلحة خاصة لمن يرحم.

نشرت في مجلة الهلال دراسات أدبية عن المرأة في أدب كل من: عباس محمود العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ.

آثارها الأدبية المؤلفة

أ- القصص القصيرة:

١- كلهن عيّوشة - (سلسلة كتب للجميع) القاهرة ١٩٥٤.

٢- ثمن الحب - دار عبيد، القاهرة ١٩٥٥.

٣- عروسة على الرف - (سلسلة إقرأ) دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤.

٤- بقايا رجل - المكتب التجاري، بيروت ١٩٥٦.

٥- مدرسة البنات - مؤسسة روز اليوسف، القاهرة ١٩٥٩.

٦- نصف امرأة - مؤسسة روز اليوسف، القاهرة ١٩٦٢.

٧- ليالٍ لها ثمن - المؤسسة القومية للكتاب، القاهرة ١٩٦٣.

٨- نوابغ النساء - دار الهلال، القاهرة ١٩٦٤.

٩- معجزة النيل - الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤.

١٠- ألف مبروك - الدار المصرية، القاهرة ١٩٦٥.

١١- نبضة تحت الجليد - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٨.

١٢- أربعة رجال وفتاة - (سلسلة روايات الهلال)، القاهرة ١٩٧٢.

١٣- القفص الأحمر - دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.

١٤- شيء أقوى منها - دار الهلال، القاهرة ١٩٧٥.

١٥- اللغز الأدبي - مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٨.

ب- روايات ومسرحيات:

١- كسبنا البريمو - (دراما اجتماعية)، القاهرة ١٩٥١.

٢- نفرتيتي، ثورة أخناتون الروحية - (سلسلة كتب الهلال)، القاهرة ١٩٥٢.

٣- لعنة الجسد - مؤسسة كامل مهدي، بيروت ١٩٥٨.

٤- دموع التوبة - الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٩.

٥- عاصفة في قلب - (سلسلة كتاب الهلال)، القاهرة ١٩٦٠.

٦- قصور على الرمال - مؤسسة روز اليوسف، القاهرة ١٩٦٧.

٧- أربع مسرحيات ضاحكة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.

٨- الجمر الغافي.

ج- دراسات:

١- نساء محاربات - دار المعارف، القاهرة ١٩٥١.

٢- حواء وأربعة عمالقة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦.

الآثار المترجمة

ترجمت صوفي عبد الله أكثر من أربعين كتاباً في الرواية والقصة والتاريخ، صدر أكثرها عن دار الهلال، وكانت أحياناً تستخدم في كتاباتها اسماً مستعاراً هو (أم هاني)، ومن كتبها المترجمة:

الأب غوريو لبلزاك - ابنة القائد لبوشكين - أحدب نوتردام لفكتور هيجو - الأرض العذراء لتورجنيف - البعث لتولستوي - الثورة الحمراء لديماس - جريمة في وادي النيل لأجاثا كريستي - الحب العظيم لتورجنيف - الحرب والسلام لتولستوي - ذات الشعر الذهبي لسومرست موم - رجال الله لبيرل باك - مرتفعات ويذرنغ لإميلي برونتي - الكنز المفقود لكونان دويل - غادة النيل لإميل لودفيج - غانية باريس لإميل زولا - قلب تحطم لموباسان - ليزا لتورجنيف - المساكين لدستويفسكي - نهاية غرام لجراهام جرين - العاشق المجنون لإميل زولا - صراع الأجيال لتورجنيف - عاصفة وقلب لفكتور هيجو - غراميات راسبوتين لشارل بيتي - وادي الرعب لكونان دويل - قلب النسر لأوكتاف أوبري وغيرها...

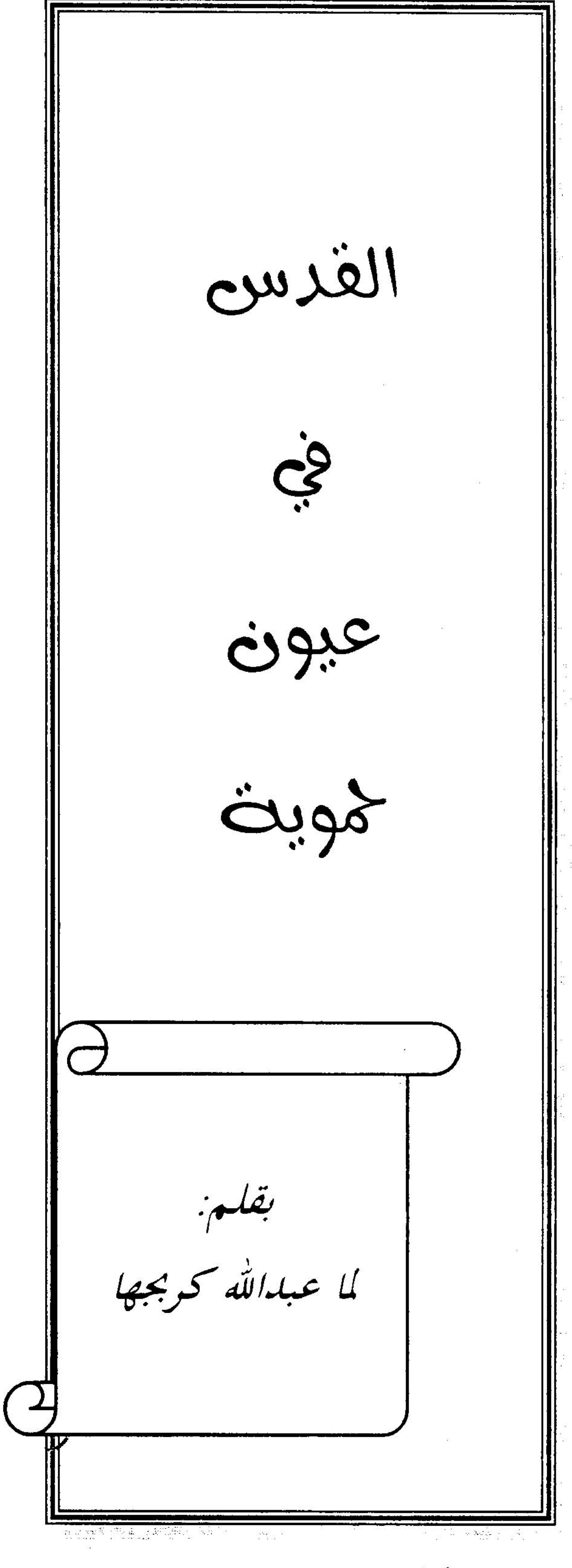



نخبُ الهوى..

شعر: محمود حمود

مادام يحيك الهوى
وعن المحبة لو حييت العمر يوماً
لم تقفْ
نخبَ الهوى
من بين نهديَّ ارتشف
واسكَرْ
وهاتِ الراحَ أترعه براح
عصفورةٌ .. ريشي غرامُك
واندفاعي والجناحْ
منذورةٌ كلّي لمن أهوى
وها أنتَ اتجاهي والرياح
إنّي لئن جُنَّ الهوى
أشدو
وتندمل الجراحْ
لي من عيون الحب أنغام
صدى نايٍ
وعطرٌ من نسيم الروح مرسالٌ
وها شوقاً أذوب
وخافقي فجر
مدامته الصباح.



القدس معلم من معالم العروبة والإسلام ومدينة مقدسة عند كل الأديان السماوية وقد نكبت الأمة العربية والإسلامية والمسيحية فيها فاحتلت من قبل الصهاينة صناع الحروب والإرهاب في العالم وكانت الكارثة التاريخية التي حفرت وأثرت عميقاً في وجدان وروح الشعب العربي وقد ظهر هذا الأثر على ألسنة الأدباء والشعراء وفي أعمال الفنانين تصويراً صادقاً لعاطفة خلقتها هول هذه المأساة ، كما كثرت وتعددت أبعاد صورة القدس في كل عمل إبداعي وبما يتواصل وجداناً وفكراً مع هذه الكارثة من ماض وحاضر ومستقبل.

اليوم أردت أن أدخل عالم القدس الشعري، أردت أن أراها من خلال عيون شعراء حماة فكانت لي الحوارات التالية مع عدد من شعراء حماة وكانت البداية مع الشاعر محمد عدنان قيطاز حيث قال لي:

"فلسطين هي الجرح النازف دائماً في شعرنا.. فلسطين والقدس في شعري ونحن شعراء حماة من أكثر الناس إحساساً بالقضايا الوطنية والقومية وتعد فلسطين هي الجرح النازف دائماً في شعرنا فلا تخلو قصيدة وطنية من ذكرها وقصيدتي (لن تركع القدس) مشهورة ومعروفة".

القدس في شعر محمد عدنان قيطاز جرح أورق وأزهر، جرح يروي قصته التي يعرفها الجميع ولكن دون أدنى فائدة فشهوة الكفاح هرمت والميادين أقفرت من رداء الشموخ، كما أن الثورة عارمة في شعره، ثورة يحاول إشعالها في روح كل عربي محاولاً تحريك الكرامة ومنادياً بالوحدة والنضال والتحرر من

عقدة الخوف والجوع مذكراً بأمجاد الأجداد ورافضاً بشدة الحالة الراهنة للعرب، أيضاً القدس في شعره شامخة لن تركع أبداً وكل عار أصاب الأرض العربية سيمحوه دم أبنائها الأبطال.

يقول الشاعر في قصيدة (لن تركع القدس):

لا وحق الفداء.. لن تركع
القدس ولن يستلين حدُّ المجزرْ
لن تموت الحقوق إن كنت سيفاً
عربيَّ المضاء في الساح مُشْهَرْ
أبداً لن تموت.. يا أرض ميدي
فلقد جاءك الأعزُّ الأكثرْ
الدم الحرُّ لم يزل يتلظّى
ولنحنُ الوقود في كل مِجْمَرْ
ولنحنُ الأساة إن عزّ آس
لا سوانا بنبله يتدثّرْ
ولنا في ملاعب المجد سَبْحٌ
سائلوها.. تجبْ إذا الفجر أسفرْ
من قديم الزمان كنا..
ومازلنا.. وتباً لحاقد إن زورّ
كلّ عار في أرضنا هو رجسٌ
سوف نمحوه بالنجيع الأحمر

شغفتني زهرة المدائن حباً

فلسطين والقدس في شعر غازي فيصل الخطاب حزناً يتفطر له القلب على هذا الزمن القاتم وعلى ضياع الأقصى وصيحة مخنوقة تندد بالتخاذل والخوف وبثياب الذل والعجز التي لبسها الجمر المكابر حتى نسي ثأره، صيحة ترفض القعود عن نصرة المقاومين وتشيد بالبطولات الفردية والجماعية وترثي الشهداء لتشعل نار الحزن والغضب فتتحطم الأغلال وترتفع آيات البشائر لأن الفجر لابد آت وإن كان بعد ليل طويل.

يقول الشاعر في قصيدة (صيحة):

صحتُ لم أسمع أنا صوتي
وما أيقظتُ أحزان المجامرْ
رجم الخوف قلوب الناس فارتاعت
ولم ينهب صحارى البين ناصرْ
رجعتْ ميسون تبكي... لم تجد بعلاً
يجيد الموت في سوق الضفائر
أيها المنسيّ يا شوك الصحارى
أيها المصلوب في جذع المعابر
حطمّ الأغلال واحمل جلدك المسلوخَ
واغزلْ من لهيب الدمع آيات البشائرْ
خُطّ فوق الصفحة الأولى من الفجر
نشيداً يضرم النار في ليل العشائر

وقد تعددت قصائده التي عبرت عن هول مأساة فلسطين والقدس وسكنت كل دواوينه الشعرية ومن هذه القصائد: (سداسية القهر والموت، صيحة، الشهيدة الطفلة إيمان حجو، المولود السجين وائل، جنين المأساة والبطولة، على أكناف مسرى أحمد).

حينما سألت الشاعر غازي الخطاب عن مكانة القدس منه ومن شعره قال لي:

"أنا كغيري من شعراء حماة شغفتني زهرة المدائن حباً وأذكت في دفاتر أشعاري نار الحزن والغضب وظلت هاجس بياني".

من قصيدة (على أكناف مسرى أحمد) اخترت الأبيات التالية:

قلبي، على الأقصى سحائب لهفة
عزت على حسي وشرح معاجمي
سكنتْ ندى روحي وحبرَ مواجعي
ودموع أيامي ونَوْح حمائمي
والله كلّ مصيبة فتاكة
جلَلٌ إذا قيست بمسرى الهاشمي
هم ضيّعوا الأقصى فخطبٌ داهمٌ
يجري على آثار خطب داهمِ
الشمس جزّت شعرها انطفأت كما
انطفأت من الذلّ المحضّ عزائمي
ستون عاماً جرّعتني علقماً
ورمت عيوني في أتون مآتم
وأنا وآمالي وكلّ أحبتي
مزَقٌ على موج الردى المتلاطم
وأنا وتاريخي وضوء مآذني
في كفّ سفّاح الخليل الآثم

هل هناك منقذ؟!..هل ننتظر منقذاً؟!..

حدثني الشاعر عبد الوهاب الشيخ خليل الشعراني عن ذكرياته في مدينة القدس وأخبرني عن حاراتها القديمة والكبيرة والتي تشبه حارات حماة القديمة وهو الذي أمضى فترة من شبابه متنقلاً ما بين مدن فلسطين، قال لي:

"القدس وصلت لوضع يهين الأمة العربية والإسلامية إهانة صريحة صارخة والسؤال الذي يلح على الإنسان هو: هل هناك منقذ؟!.. هل ننتظر منقذاً؟!..الجواب في ضمير الزمن".

القدس في شعر عبد الوهاب الشيخ خليل الشعراني جرحاً وصل سويداء القلب، جرحاً تبتل بماء الوجد والشوق للوصال، وتنديداً بوضع جعلنا نفقد الإحساس بالعيب أمام ضياع الأوطان وإهانة مسرى الرسول وتمادي العدو اللئيم محاولاً إيقاظ الشعوب والغيارى لحماية تاريخهم وإعادة الحياة إلى دمائهم وإذابة جليده بثأر الدم حين يغلي في النفوس مستنجداً بالمسلمين في كل مكان ومتفائلاً بأطفال سيغدون رجالاً يجعلون من النصر والصمود مبدأ لإنقاذ القدس قبلة الله التي من المستحيل أن تبقى تحت الاحتلال منادياً بالوحدة لتحريرها وجعل يوم النصر عيداً.

يقول الشاعر في قصيدة (إنها القدس):

أيها المسلمون في كل مصر
هل نسيتم على الخنوع النّهودا
فالعذارى أمسين في القدس نهباً
لذئاب ينهشن صدراً وجيداً
والعذارى لدى العلوج سبايا
يستغثن المقدام والصنديدا
إنها القدس يا لعارٍ عظيم
يصم الجدّ بالخنا والحفيدا
إنها القدس هل سمعتم نداها؟
هل شهدتم مصابها المشهودا؟

كــــلّ يـــــوم مذلــــــةٌ واعتــــــداء
يهتـــك العـــرض أو يهــين المجيــــدا
كـــل يــــوم مســـرى الرســـول مهـــان
إن مســـرى الرســـول أضـــحى طريـــدا

آثار القدس في قصائدي
كأثر القلب في حياة الجسد

عندما قرأت شعر رابعة الكيلاني تجلت لي صور المقاومة الشريفة وارتفعت صورة القدس بين الصور بهالتها القدسية النورانية ترافقها أحلام وآمال محتضرة تنتظر صحوة تشعل الدم في العروق أمام مقتل الأطفال وكل ما يحدث من ظلم وذل وعدوان بعد أن تهاون القوم عن نصرتها ولكن مع ذلك فالشاعرة ترى أن الصبح لابد قادم ترسمه حجارة الأطفال.

قلت للشاعرة:

قرأت ظلم الاحتلال في قصائدك، وكانت فلسطين جرحك النازف لكنني مع ذلك بهرت بصورة القدس وهي ترتفع لتسكن شغاف القلب. إن سألتك هنا عن مكانة القدس في شعرك فبماذا تجيبينني؟

"تسكن القدس قلب قصائدي سكن القلب للجسد، فأنت لا ترين القلب بالنظر إلى الجسد ولكنك موقنة بوجوده بدلائل نبض الحياة في الجسد وهكذا ترين آثار القدس في قصائدي كأثر القلب في حياة الجسد وقد أسدى لها العدوان الصهيوني خدمة من حيث لا يريد ذلك فأسكنها بجنون وحشيته قلوب الأحرار كل الأحرار في هذا العالم على اختلاف معتقداتهم ودياناتهم ولا يردّ أولئك الأحرار عن الهبوب لنصرتها غير انقسام أهلها واختلافهم.

أمنياتنا لهذا الليل أن ينجلي ليهب كل محبي القدس لنصرتها كما يجب ولتعود الحياة، حقيقة الحياة إلى قلب الدنيا الذى يجعلها تنبض حقاً بالحياة.لأرى تحلة قسمي

تقول الشاعرة في قصيدة (قسم):

أقســـمت بـــالنور مـــن عينيـــك ينهمـــر
والـــروح فـــي الكـــف والأحـــلام والحجـــر
ومـــا حـــوى الليـــل مـــن لألـــئ بارقـــة
ترنـــو إلـــى القـــدس والآمـــال تحتضـــر
أقســـمت بالصـــبح لا يرجـــى لـــه بلـــجٌ
إما صـــحى القـــوم مـــن وعـــد بـــه ســـكروا
وبالـــدم الســـمح لا يرجـــى لـــه بـــدلٌ
إلا ســـرى القـــدس فواحـــاً بـــه القـــدر
بقبـــة المســـجد الأقصـــى، بســـاحته
بمقتـــل الطفـــل لـــم يحفـــل بـــه البَطـــرْ
إنـــي أرى الصـــبح يرقـــى مـــن حجـــارتهم
لـــيملأ الكـــون حبـــاً قـــد لـــه نـُــذروا

ولاءنا للقدس ولاء عقائدي
وانتسابنا لها مصيري

نخوة الأقصى، ترنيمة في محراب القدس، إلى الشاعر الفلسطيني، قراءة في مدائن الثورة.. وعناوين كثيرة لقصائد عديدة سكنتها فلسطين وتجلت فيها القدس بأبهى حللها

عروساً للنور والنار، عروساً بثوب أبيض طاهر ودم أحمر نازف، يرفض الاحتلال ويدعو لإشعال نار الثورة والكرامة وإيقاظ النيام مذكراً بأبطالنا وتاريخنا العربي العريق، رفضاً للتفرقة ولواقع العرب الحالي وحلماً بالوحدة وإيماناً بدور الشعوب ووقوفها في وجه نيرون كل زمان.

هكذا تجلت القدس في شعر حسان عربش وهو الذي حدثني عن مكانتها في قلبه وروحه وقصائده قائلاً:

"إنها القدس يرسمها نبض القلب، غمامة تهطل بالنور والحب، عاصمة الشهادة والشهداء، تتوزع عشقاً وياسميناً ونضالاً على خارطة قصائدي، نذرت لها أعذب ما في الروح من عنفوان فهي بوصلة العرب المؤمنين إليها تومئ القلوب.

هنا قدس القلوب ترفُّ سحراً
فليس لشمسِ عزّتها مغيبُ
إذا الفاروق كان لها عمادا
فإنّ صلاحها البطلُ المهيبُ
تدافعُ عن عروبتها الغيارى
ولو هطلتْ بساحتها الخطوب
رجالٌ من أعاصير المنايا
على قلب العداةِ لها هبوب

ومن قصيدة (نخوة الأقصى):

ما هم كم قبض الردى من وردنا
وشبابنا مهر البلاد ثمين
دمنا نشيد الأرض والتاريخ
يسرج خيله من هاهنا المأمون
هي نخوة الأقصى تجلّت ليس..
يدرك سرها باراك أو شارون
هذا نداء القدس في أرواحنا
عن عمره لا يسأل الليمون

كما أن فلسطين هي موسم شعرنا الأغلى وهي سورية الجنوبية على ثراها استشهد أبناء سورية الأبطال مثل عز الدين القسام وسعيد العاص وغيرهم كثير، كما أن ولاءنا للقدس ولاء عقائدي وانتسابنا لها مصيري.

من قصيدة (قراءة في مدائن الثورة):

دم يرتدي عنفوان النخيل
يفيض جداول طهر
حدائق عشق
ويغدو بوجه الطغاة انفجار
وتدنو السماء لتحتضن القادمين
قوافل عز وغارْ
وللقدس تندى زهور الكلام
لموت ألفناه فخرا وفجرا
وإكليل غارْ
أليست دماء الأباة
منار
فلسطين يا أول الصامدين
ويا آخر الصامدين بوجه التتارْ.

مازلت أنتظر شروق الشمس
التي لابد طالعة

عندما نبحث عن صورة القدس في شعر رضوان الحزواني نجده يستحضر رمزية عدد كبير من الشخصيات العربية التاريخية كعنترة وزهير بن أبي سلمى وعمر بن الخطاب وغيرهم كثير ليعرض من خلال هذه الشخصيات واقع القدس وفلسطين والأمة العربية فهو يعمل على سرد مواجع هذه الأمة لإثارة النخوة الكامنة مبشراً بولادة فجر جديد يوقف شلال الدماء المتزايد منتظراً سلام الأبطال لا المتخاذلين.

يقول الشاعر في قصيدة (سقوط الرخ) مفتخراً بنصرهم في حرب تشرين التحريرية ومستبشراً بنصر القدس وتحريرها بعد وحدة العرب :

هاتي يمينك.. يا عفراء.. وانطلقي
فاليوم يشرق في عينيك نيسانُ
جراحنا الحمر في أسيافنا شعلٌ
وتلك أعيننا شهبٌ ومرّانُ
درب الأحبة بالزيتون نفرشه
وإن غضبنا فمنّا الإنس والجانُ
لو تسألين عدوّ الشمس يعرفنا
كم دوّخته بساح الريح عقبانُ
وكم رجمناه بالبارود فانفجرتْ
غيومه السود.. واصطادته نيرانُ
فاهتزّت القدس بالبشرى وواعدها
على المشارف عبّاسٌ ومروانُ

أخبرني الشاعر رضوان الحزواني عن الألم الذي يعتصر قلبه لما تعانيه القدس مسرى الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ومولد رسول السلام عيسى ابن مريم عليه السلام في محيطها وقال:

"تأبى القدس وآلام أمتنا وجراحاتها إلا أن تكون مشهداً مؤلماً يسكن روحي وشعري ولكنني مع ذلك مازلت أنتظر شروق الشمس التي لابد طالعة". ومن قصيدة (أشجان ربيعية):

ما عدتُ أحصي جراحات نُكابدُها
بغدادُ والقدسُ بعضٌ منْ مآسيها
واليوم غزّة أشلاء على حجر
وحسبها الله من أعدى أعاديها
قلوبنا معها والسيف معتقلٌ
قلوبنا معها والسيف معتقلٌ
ماذا أحدّثُ يا أمّاهُ! أنت على
وَقْدِ الجراحِ، وإنّا مَنْ نعانيها
لا تقفلي البابَ، إنّ الشمسَ طالعةٌ
مهما أناخَتْ على البلوى لياليها

من خلال لقاءاتي السابقة وبعد قراءتي السريعة لشعر عدد من شعراء حماة وجدت القدس في شعرهم عشقاً مقدساً وجرحاً يدمي القلب والروح وثورة عارمة بالحزن والغضب تندد بحالة العرب الراهنة وترى أن السيف والدماء هما الحل لاسترجاع كل أرض محتلة مستحضرة تاريخ البطولة العربية ومطالبة بالوحدة للقضاء على ذل وظلم العدوان، مستبشرة بالأطفال أبطال المستقبل وبحجارتهم التي ستنير قادم الأيام.




قالت ندى..

شعر: حسن عدنان قداح

قالتْ ندى والحقُّ إنْ نطقتْ ندى
لجمتْ لساناً واثباً غلّتْ يدا
قرأتْ بديواني وقالتْ ويحهُ
وردَ المشاعرَ حازَ فيها الفدفدا
صادَ القلوبَ بصوتهِ وبشعرهِ
ألقى فنعمَ الصيدُ ما قد صيّدا
ماذا أقولُ ؟ فما قرأتُ محيّرُ
وإذا نقدتُ فشعرهُ لنْ يُنقدا
قالتْ أجدتَ ولمْ تُجدْ فإلى متى
تبقى أسيراً ؟ للقديم مقيّدا
اركب حصانَ اللفظِ سرجَ حداثةٍ
واطوِ المعاني فوق أجنحةِ المدى
إنَ ((الفراهيدي)) الذي أحببتَهُ
ما عادَ يملكُ بحرُهُ إلاّ الصدى
تلكَ المفاعلُ والفعولُ وما تلتْ
ماتتْ وصارَ الوزنُ يطويهِ الردى
إنّ العروضَ لجثةٌ وعظامهُ
صارتْ رميماً ليسَ يحيها الحدا







تفعيلــــةٌ قطّـــعْ بهـــا يـــا شـــاعري
لا حـــسَّ فيهـا والمنـى ضـاعتْ سـدى
فجّـــرْ لنـــا لغـــةَ الجمـــالِ بجملـــةٍ
شـــعريّةٍ تـــردي بهـــا مَـــنْ قلّـــدا
فـــالنثرُ تُـــوّجَ في الكـــلام أمـــيرهُ
والشـــعرُ في النثـــرِ الجميـــلِ تجـــدّدا
فأجبتُهـــا والعـــينُ فـــاضَ خيالهـــا
والقلـــبُ شـــعرٌ نـــارهُ لـــنْ تخمـــدا
النثـــرُ نثـــرٌ لســـتُ أنكـــرُ فضلـــهُ
والشـــعرُ شـــعرٌ فـــوق نثـــرٍ قـــد غـــدا
مـــا الشّـــعرُ دون الـــوزنِ إلاّ بلبـــلٌ
فقـــدَ اللســـانَ وصـــارَ ينعـــبُ إنْ شـــدا
أو أنـــهُ ظـــبيٌ جميـــلٌ شـــكلهُ
فـــإذا مشـــى هـــو أعـــرجٌ قـــد سُـــنّدا
فالســـحرُ في شـــعر الـــورى إيقاعـــهُ
مـــنْ دونـــهِ تمســـي القصـــيدةُ جلْمـــدا
في روح ((موســـيقى)) القصـــيدةِ هـــزّةٌ
تلـــجُ الفـــؤادَ ولا تغـــادرُ أكبـــدا
تعلـــو الـــذي سمـــعَ القصـــيدةَ نشـــوةٌ
فـــتراهُ زادَ تمـــايلاً وتنهّـــدا
والصـــورةُ الغنّـــاءُ كانـــتْ جســـمَها
بهمـــا القـــريضُ سمـــا يعـــانقُ فرقـــدا







فـي الشـعرِ يُختصـرُ الكـلامُ بومضـةٍ
والنثـرُ شـرحٌ قـد أطـالَ وفنّـدا

فـإذا شـرحتِ قصـيدةً ماتـتْ بهـا
كـلُّ العواطـفِ والشـعورُ تجمّـدا

للشـعرِ سـحرانيّةٌ في وزنـهِ
قـادَ النفـوسَ وعـاشَ فيهـا سـيّدا

فهـي الكواكـبُ يـا نـدى دورانُهـا
أعطـى الفضـاءَ ترنّمـاً لـنْ ينفـدا

والصُّـورُ يـومَ قيامـةٍ ألحانـهُ
تحيـي الـرميمَ لكـي يغـادرَ مرقـدا

والشـاعرُ الخـلاقُ لـيسَ مؤرّخـاً
كتـبَ الحـوادثَ قاصـداً متعمّـدا

بـلْ كـان عينـاً قـدْ رأتْ مسـتقبلاً
سـبقَ الزمـانَ بفكـرهِ فتفـرّدا

والشـعرُ يحلـو للعـوامِ بسـيطهُ
أمّـا الغمـوضُ فكـانَ شِـعراً مقعـدا

فالنـاسُ لا تهـوى الغمـوضَ لأنّـهُ
عجـزُ الأديـبِ بـأنْ يُريـكَ المقصـدا

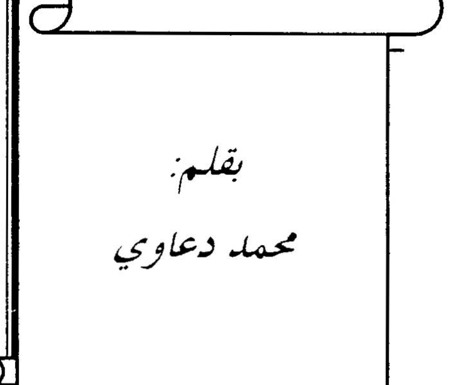
إنّ ((الفراهيـدي)) الـذي أحببتُـهُ
كشـفَ البحـورَ وقـادَ فيهـا السـؤددا

قالـتْ نـدى والحـقُّ إنْ نطقـتْ نـدى
قتلـتْ بشـعري كـلَّ بيـتٍ غـرّدا




نيكولاي فاسيلييفيتش غوغول

أديب روسيا العظيم



بقلم:
محمد دعاوي

ينتمي نيكولاي غوغول إلى أسرة أوكرانية غنية وقد ولد في نيسان عام ١٨٠٩ميلادية لأب يهوى الأدب والفن مما أتاح لغوغول أن ينمي مشاعر الجمال والذوق الرفيع في نفسه وأن يقبل على الاطلاع على الأدب والثقافة بشغف كبير.

انتقل غوغول إلى العاصمة بطرسبرغ بعد تلقيه تعليماً محلياً حيث عمل موظفاً حكومياً ثم معلماً وبعد محاولة شعرية فاشلة نشر مجلدين من القصص القصيرة في عامي (١٨٣١ــ١٨٣٢) ميلادية عن الحياة الأوكرانية أصابا نجاحاً باهراً وهو لا يزال في مطلع عقده الثاني وتعرف آنذاك على اثنين من عمالقة الأدب الروسي هما بوشكين وجوكوفسكي.

وبعد فترة تفرغ غوغول للكتابة ونشر تمثيلية "المفتش العام" التي هزت الرأي العام الروسي وتمَّ أول عرض مسرحي لها عام ١٩٣٦على خشبة المسرح الملكي وبحضور القيصر الروسي نيكولاي الأول الذي امتدح المسرحية قائلاً: "الجميع ملومون وأنا أولهم".

وبعد سنة ١٨٣٦م انتقل غوغول إلى روما وأمضى معظم وقته في أوربا وخلال إقامته في الخارج أنجز غوغول روايته الأرواح الميتة التي عدها الناقد الروسي بيليسنكي من أعظم ما كتب غوغول والتي قال بوشكين بأسى بالغ عندما اطلع على فصولها الأولى:

"يا إلهي كم هي روسيا حزينة".

في عام ١٨٤١م يعود غوغول إلى روسيا وبعد انتهائه من روايته الأرواح الميتة يقرر التوجه إلى الأراضي المقدسة للحج وزيارة بيت المقدس إلا أن رحلة الحج هذه إلى القدس لم تتم حتى عام١٨٤٨م لأسباب مالية وروحية.

وكان غوغول يعد هذا الحج ذروة النضج والتطهر الروحي لديه وينظر إلى رحلته إلى فلسطين على أنها الحدث الأهم في حياته .فمن خلال رسائله إلى أصدقائه يتضح أن رحلة الحج تلك كانت ضرورية له من الناحية الإبداعية والروحية .

في إحدى رسائله إلى صديقه جوكوفسكي كتب غوغول يصف الانطباعات التي تركتها تلك الرحلة في نفسه: "لقد رأيت هذه الأرض كما لو في الحلم". وفي رسالة أخرى إلى جوكوفسكي أشار إلى حاجته المسيسة إلى هذه الرحلة وإلى ظمئه الروحي: "لقد قمت برحلتي إلى فلسطين بالضبط لكي أعرف شخصياً ولكي أدرك بنفسي كم كان قلبي ممتلئاً بالقسوة كم كانت كبيرة تلك القسوة يا صديقي لقد كان لي الشرف بأن أمضيت ليلة قرب قبر المخلص كان لي الشرف بأن انضممت إلى تلك الأسرار العظيمة المقدسة القائمة فوق ذلك الضريح ورغم ذلك لم أصبح أكثر نقاءً في حين كان من الضروري أن يحترق كل ما هو أرضي عندي فلا يبقى سوى ما هو سماوي". لقد كانت النتيجة الحقيقية لرحلته إلى فلسطين هي اكتسابه السلام الروحي العميق وامتلاؤه بمشاعر المحبة تجاه الناس جميعهم.

أراد غوغول برحلته إلى القدس أن يصفّي نفسه ويستعد لتلقي الإلهام الروحي لإصلاح المجتمع الروسي والخروج به من حالة الفاقة والبؤس وكان غوغول ينظر إلى نفسه على أنه مصلح وأن على عاتقه تقع مهمة النهوض بالأمة وإصلاح أحوال الناس وصياغة دستور جديد يعيد تشكيل حياتهم وبلورتها على أسس أفضل. لقد كان شعوره بمعاناة الناس وآلامهم كبيراً جداً وطموحه نحو التغيير حافزاً لكتاباته التي قصد بها الإصلاح وكرّسها لرصد هموم الصالح العام وخدمة المجتمع فاضمحلت "أنا" الكاتب الشخصية وذابت في كيان الجماعة حتى لم يعد لها وجود.

جنح غوغول إلى الزهد والتقشف في السنوات العشر الأخيرة من حياته وكان كثير الصوم والتعبد مغرقاً في التأمل والتفكر يميل إلى الصمت والانعزال سابحاً في التصوف والحالات الوجدانية باحثاً عن الإشراقات الروحية والإلهامات الكشفية ناشداً للصفاء والطهر ساعياً وراء الحقيقة لاهثاً خلف الاستكشافات المعرفية والأفكار الإبداعية راغباً بسكينة الروح وطمأنينة القلب وهدوء النفس وراحة الضمير.

لم يكن غوغول راضياً عن إنتاجه فأحرق قسماً كبيراً من مؤلفاته وربما يكون السبب شعوره بالفشل والعجز عن التغيير الذي صبت نفسه إليه وهذه نتيجة حتمية لمبدع مرهف الحس ذو مزاجية متوترة وعدم قدرة على التأقلم مع واقع يرفضه ويسعى إلى تغييره بكل

ما أوتي من قوة وما استطاع من سبيل يحدوه إلى ذلك مثاليّة مفرطة وتصورات عن مدن فاضلة ومجتمعات ينتفي منها الظلم بالمطلق وتنعم بالسلام وتعيش حالات من الكمال بلا حدود وتتحقق فيها العدالة والمساواة وتغمر بسعادة أبدية.

كانت المدة الناشطة من حياته الأدبية قصيرة بشكل ملحوظ وهي تندرج بين عملين من إنجازاته المركزية يتميز أحدهما عن الآخر جذرياً الأول "هانزكو شيلغارتن" قصيدة قصصية طويلة نشرت باسم مستعار عام ١٨٢٩ م والثاني "مختارات من مراسلاتي مع أصدقائي" عام ١٨٤٧م وهو خليط من الأبحاث الأخلاقية والاجتماعية والأدبية المدونة بشكل رسائل والمقدمة بعد خمس سنوات من الصمت إلى جمهور متعطش إلى الجزء الثاني من روايته الملحمية "الأرواح الميتة" وبين هذين العملين تقع مدة خصبة خصباً شديداً دامت أحد عشر عاماً من ١٨٣١ م إلى ١٨٤٢ م وجمعت حكاياته الأولى بعنوان "سهرات في مزرعة ديكانكا" (١٨٣١ - ١٨٣٢) وتقع أحداثها في أوكرانيا.

في عام ١٨٣٥ نشر غوغول جزءاً جديداً من قصصه وهو مزيج من الأبحاث و القصص المتخيلة من بينها "صورة إنسان" و"يوميات مجنون" وجميعها تنتمي إلى حكايات بطرسبورغ ثم يأتي "الأنف" ورائعته في فن القصة "المعطف" نشرها عام ١٨٤٢ م والتي قال فيها دوستويفسكي الكاتب الشهير: "إن القصة الروسية خرجت من معطف غوغول".

لقد كان تأثير غوغول قوياً على الكتّاب الروس المتأخرين وهو كما يقول غريبيوغريبكو: "كان غوغول للشعب الروسي كما كان سرفانتس وبلزاك للإسبان والفرنسيين إنه المسجل المناقبي لكل الشعب الروسي ففي تولستوي ودوستويفسكي أضحت بعض الثمرات ذات عصارة لكن جذور القصة هي نيكولاي غوغول".

ويخرج به ناقد فرنسي هو بروسبير ميريمييه من الإطار الروسي ليضعه في نطاق أوسع وأفق أرحب ويرتقي به إلى العالمية التي كان ظفر بها لولا المعوقات الحائلة بينه وبينها وهي اللغة فقد كانت تنقصه برأي ميريمييه لغة واسعة الانتشار ليحظى بالشهرة الواسعة إسوة بالكتاب الإنكليز.

لم تطل الحياة بغوغول كثيراً فتوفي وهو في أوائل عقده الرابع عام ١٨٥٢ م معانيناً من الفقر والمرض. وكان يرى أن الجيل الجديد من الكتّاب هو الذي سيكون قادراً على أداء مهمة القائد الروحي والمربي التي يضطلع بها الكاتب الروسي تجاه المجتمع بشكل أفضل ومع الأيام ثبت صدق رؤية نيكولاي غوغول هذه وكان للأدب دويه المؤثر في المجتمع وصداه المسموع والموجه للعقول ودوره الفعّال في إحداث التغيير